

جمهورية العراق
وزارة التربية
المديرية العامة للمناهج

الأدب والتصور

للمصنف الرابع الأدبي

تأليف

د. سمير كاظم الخليل تركي عبد الغفور الراوي

علوان عبد الحسن السلطان موسى حسين القريشي

المنتزف العلمى على الطبع : ندى رءيم ءسفن

المنتزف الفنل على الطبع : ننفما قاسم ءاسم

الموقم والصفءة الرسملة للمءبرفة العامة للملاهء

www.manahj.edu.iq

manahjb@yahoo.com

Info@manahj.edu.iq



manahjb

manahj

مقدمة

ليس الغرض من تأليف الكتاب أن يلتزم الطالب بمادته التزاماً صارماً يعطل قدراته الفكرية والتأملية .. وإنما الأساس في الدراسة الحقيقية هي تلك التي تقوم على المناقشة وإبداء الرأي للوصول إلى الحقيقة العلمية التي نهدف إليها بتحريك القوى الفكرية للطالب .. ومهمة المدرس عرض الموضوع ومناقشته مع طلابه لتحقيق رأي من مجموعة آراء يكونها الطالب والمدرس لبناء شخصية لها موقف من الحياة وتحديد مستقبلها، وتناسي أساليب التلقين وحشو الأدمغة بمعلومات بائسة سرعان ما ينساها الطالب باجتياز المرحلة الدراسية لذا توصي اللجنة التي وقفت على إعداد هذا الكتاب وتأليفه والتزمت التزاماً دقيقاً بمفردات المنهج الجديد المقرر أن يكون تدريسه على نحو حوار بين المدرس والطالب ، وتؤكد ما للحفظ من تأثير في تقويم اللسان وترسيخ الملكة اللغوية بشرط ألا يسود وحده في الصف، فيتحول كتابنا هذا إلى كتاب محفوظات والدراسة إلى تلقين لا فائدة منه ، مع ترحيب اللجنة بأي توجيه أو تصحيح أو نقد أو ملاحظة يتفضل بها من يدرّسونه أو يطلعون عليه ، ولهم أن يتمموه بما يضيفون من معلومات قد تقرب موضوعاته من حياتنا الجديدة . وإننا إذ نقدم هذا الكتاب بما فيه من جهد متواضع لطلبتنا الأعزاء لا ندعي الكمال



فـ (الكمال لله وحده) ، بل نحن على يقين من أن إخواننا المدرسين سوف يقومون ما في الكتاب ويسدون ما يجدونه من نقص بما يبعثون به إلينا مما يتوافر لديهم من ملاحظات في أثناء تدريسهم الكتاب ومادته ، وإنما نعدهم وعداً صادقاً بتلقي تلك الملاحظات بصدور رحب والعمل على كل ما نراه منها صحيحاً يتفق مع المنهج المرسوم والمنطق العقلي ، شاكرين لهم جهودهم وأفضالهم .. والله نسأل أن يوفقنا في أداء واجبنا نحو أبناء وطننا . إنه نعم المولى ونعم النصير .

المؤلفون



الأدب معناه وأنواعه

قال رسول الله (ﷺ) « أدبني ربي فأحسن تأديبي » فالأدب بهذا المعنى هو الاتصاف بالخلق الكريم والفضائل وتهذيب النفس ، وقد تطورت كلمة (الأدب) فاستعملت بمعنى التعليم وأصبح لفظ المؤدب يرادف المعلم الذي يتخذ التعليم حرفة وأصبح لفظ الأدب يدل على ما يلقيه المعلم إلى تلميذه من الشعر والقصص والأخبار وكل ما من شأنه أن يثقف نفس المتعلم ويهذبها ويمنحها حظاً من المعرفة .. فالأدب بهذا المعنى إذن جملة الكلام الجيد من المنظوم والمنثور وما يتصل به من تفسير . وغلب استعمال كلمة الأدب والتأديب بهذا المعنى في أثناء القرن الأول للهجرة ، في كل ما من شأنه التثقيف وتهذيب من أنواع العلوم ما عدا العلوم الدينية ..

وهكذا ترى لفظة الأدب تؤدي معنيين :-

أحدهما : المعنى الخلقى التهذيبي . والثاني : هذا الكلام شعراً أم نثراً فالقصيدة الرائعة والخطبة المؤثرة والقصة الحسنة والمقالة البارعة كلها تحدث في النفس إثارة جميلة .. وهكذا ترى أن أخص ما يتميز به الأدب هو عواطف إنسانية تؤدي بأسلوب رائع ، فالأدب هو لغة خاصة مشحونة بتجربة الأديب وعواطفه بتجاوز حدود اللغة والتحرر من قيودها إلى آفاق مجازية وباختصار فالأدب : فنُّ أدواته اللغة .



الأدب نوعان : أدب إنشائي (إبداعي) وأدب وصفي .. والأدب الإنشائي

يبدعه الأديب ويجعل منه أثراً فنياً جديداً لم يكن من قبل أن يبدع أو ينشأ.

ولهذا سمي إنشائياً ، وأخص ما يمتاز به هذا الأدب أنه يصور تصويراً فنياً ما تقع

عليه عين الأديب أو ما يختزنه من مشاعر وتجارب وما أثر فيها من أحداث ، وهذا

النوع من الأدب يقرأه الناس فيتأثرون به .

أما الأدب الوصفي فهو الأدب الذي يتناول الأدب الإبداعي (الإنشائي)

بالدراسة والاهتمام كتاريخ الأدب ، والنقد الأدبي ، والبلاغة ... الخ

والأدب الإنشائي أو الإبداعي يقسم إلى شعر ونثر والشعر هو الكلام الموزون

سواء أكان شعراً عمودياً وهو الذي يتسم بالوزن و القافية و يعتمد نظام

الشطرين . أم كان شعراً حراً وهو الذي يقوم على تفعيلة واحدة ويتحرر الى حدٍ

ما من الوزن والقافية مع التزامه الشطر الواحد الذي قد يطول وقد يقصر .

والنثر هو النصوص الأدبية الفنية الخالية من الوزن والقافية ويكون على

أنواع هي :- (الخطبة ، المقالة ، المسرحية ، القصة ، الرواية) وغيرها .

العصور الأدبية

ينقسم الأدب العربي على عصور أدبية تبدأ بعصر ما قبل الإسلام وتمتد إلى العصر الحديث ، ولكل عصر من هذه العصور خصائص وسمات ، ولكن الأدب لا يتغير تماماً بين عصر وآخر ، إنه يستمر في تطوره ويحاول العصر التالي أن يفيد من موروته ويعمل على ترسيخ جيده ونمائه ، و أحياناً يبتكر أو يضيف شيئاً جديداً .

ويعدُّ (العصر الجاهلي) عصر ما قبل الإسلام الأساس والمنطلق الأول للأدب العربي ، عبر العصور ، يليه صدر الإسلام ، والعصر الأموي فالعباسي ثم العصور المتأخرة حتى العصر الحديث .

١- العصر الجاهلي (عصر ما قبل الإسلام) :

هو العصر الذي يمثل مرحلة ما قبل التاريخ الإسلامي إلى ظهور الإسلام ، وكان الشعر هو الأكثر شيوعاً فيه مع وجود بعض الخطب والحكم والأمثال والوصايا ، فضلاً عن شكل نثري عُرف بسجع الكهان ، ومن أبرز شعراء هذا العصر : المهلهل التغلبي ، وامرؤ القيس ، والنابغة الذبياني ، وزهير بن أبي سلمى ، وعنتر بن شداد العبسي ، وعمرو بن كلثوم التغلبي ، وطرفة بن العبد ، والأعشى ، قيس ولبيد بن ربيعة العامري ، والحارث بن حنظلة اليشكري ، وأممية ابن أبي الصلت ، والشنفرى ، وعروة بن الورد وغيرهم .

أما خصائص الشعر الجاهلي فتتمثل في تعدد أغراض القصيدة والابتداء بذكر الأطلال والوقوف عليها ، واللغة المنسجمة مع العصر وجزالة الألفاظ والتعبير عن الواقع الاجتماعي والطبيعة البدوية في الأغلب .



٢- العصر الإسلامي (عصر صدر الإسلام) :

هو العصر الذي يمثل المرحلة من ظهور الإسلام إلى قيام الدولة الأموية في الشام، ويتميز شعر هذا العصر بالدفاع عن الإسلام ومدح الرسول وهجاء المشركين والحماسة وتمجيد الدين الجديد ، ومن أبرز شعرائه : حسان بن ثابت ، وكعب بن زهير ، وعمرو بن معدي كرب والخنساء والحطيئة وغيرهم .

٣- العصر الأموي :

وهو العصر الذي يمثل مرحلة حكم الأمويين (٤١ هـ) إلى حكم العباسيين سنة (١٣٢ هـ) ومن شعراء هذا العصر عمر بن أبي ربيعة ، والأخطل ، والفرزدق وجريير ، والكميت الأسيدي ، وكان شعر هذا العصر انعكاساً للحالة السياسية والاجتماعية فقد ظهرت النقائص والغزل والشعر السياسي ، وخصائص هذا الشعر انه امتداد للشعر الجاهلي في بنائه مع خيال شعري فيه مساحة أوسع من الحرية وتأثر بالمضامين الدينية وآثار الحضارة المدنية وشيوع الغزل العذري والصريح فيه مع التفات إلى شعر الزهد والطبيعة .

٤- العصر العباسي :

وهو العصر الذي يمثل المرحلة من قيام الدولة العباسية سنة (١٣٢ هـ) إلى سقوط الخلافة في بغداد على أيدي المغول سنة (٦٥٦ هـ) . ويقسم هذا العصر على عصور عدّة لطوله ويشمل :-

١- العصر العباسي الأول (من ١٣٢ هـ - ٢٣٢ هـ) حتى حكم المتوكل .

٢- العصر العباسي الثاني (من ٢٣٢ هـ - ٣٣٤ هـ) حتى قيام الدولة البويهية في بغداد .

٣- العصر العباسي الثالث (من ٣٣٤ هـ - ٤٤٧ هـ) حتى قيام حكم

السلاجقة .



٤- العصر العباسي الرابع (من ٤٤٧ هـ - ٦٥٦ هـ) حتى احتلال بغداد على

أيدي المغول .

ومن أبرز شعراء هذا العصر بكل تقسيماته : بشار بن برد ، وأبو العتاهية ، وأبو نواس ، وأبو تمام ، ومسلم بن الوليد ، وابن الرومي ، وابن المعتز ، والبحتري ، والمتنبي والشريف الرضي ، وأبو العلاء المعري ... وغيرهم .

أمّا خصائص الشعر في هذا العصر فتتمثل في الانتقال من البداوة إلى الحاضرة وفي الخروج من التقليد إلى التجديد ، وهجر اللغة الغريبة ، والميل إلى الأوزان الخفيفة ، والإكثار من الفنون البلاغية كالتشبيه والاستعارة وعلم البديع وترك الوقوف على الأطلال وظهور الوحدة الموضوعية في كثير من القصائد .

٥- العصور المتأخرة :

وقمثل المرحلة من احتلال بغداد على أيدي المغول سنة (٦٥٦ هـ) إلى الحملة الفرنسية على مصر سنة (١٧٩٨ م) . ومن أبرز شعراء هذا العصر : التلعفري ، والشاب الظريف ، والبوصيري ، وابن المصري ، وابن حجة الحموي ، وصفي الدين الحلبي وابن معتوق الموسوي وغيرهم .

أما خصائص الشعر فيها فتتمثل في رداءة التقليد والمحسنات البديعية والتكلف اللفظي، ودخول الفنون العامية والموضوعات الفردية. وتكرار المضامين والتركيز على البراعة اللفظية وتراجع الموضوعات بتأثير عوامل الانحسار الحضاري و الاحتلال الأجنبي والجهل والفقر والمرض .

٦- العصر الحديث :

يمتد العصر الحديث من حملة نابليون على مصر إلى الآن ويشمل هذا العصر مراحل توشك أن تكون متداخلة ولكن فيها بعض التمايز الفني بوصفه المقدمة الطبيعية لتطور الشعري الذي استحال إلى إبداع في إطار مدارس شعرية متعددة منها مدرسة الإحياء ، و الشعراء المحافظين ، وجماعة الديوان ، وجماعة أبولو ، ومدرسة الشعر الحر . ولقد مثل شعراء الإحياء الشاعر محمود سامي البارودي في مصر ومحمد سعيد الجبوبي في العراق ومثل الشعراء المحافظين أحمد شوقي في مصر ومحمد مهدي الجواهري في العراق ومثل جماعة الديوان عباس محمود العقاد وجماعة أبولو مثلها أحمد زكي أبو شادي ومدرسة الشعر الحر مثلها الشاعر بدر شاكر السياب .

ولا ننسى أن هناك اتجاهين أحدهما قديم والآخر حديث تكوُّنا خارج البيئة العربية ولكنه أدب عربي خالص الأول : الشعر الاندلسي ، والآخر : شعر المهجر وكلاهما له مميزات فنية خاصة به .

أسئلة المناقشة :

- تحدث باختصار عن العصور الأدبية .
- ما الفرق بين الأدب الوصفي و الأدب الإنشائي ؟
- ما الفرق بين الشعر والنثر ؟

١ - الشعر

نشأته ومصادره

يمثل الشعر في عصر ما قبل الإسلام ، الذي أُطلق عليه في مصادر الأدب ومراجعته (العصر الجاهلي) نقلة مرحلية متطورة للشعر العربي بعد أن اجتاز المراحل الأولى التي لا تزال أصولها غير معروفة ولكن المرجح ان الشعر في مرحلة النشوء كان يمثل العصر البطولي ، وتعبّر أحداثه عن واقع الإنسان ، وتتخذ من القبيلة العربية وبلاد العرب الميدان الرحب الذي تلتقي فوق كئيبانه مطامح الأبناء المشروعة في التمتع بالحرية والتعبير عن الرأي الصريح والدفاع عن حق الأرض والإنسان ، والإيمان بالقيم الأخلاقية التي عاشت في وجدانه ، واستجابة واقعية لما يحيط به من أوضاع ، واستيعاب للمشاعر الإنسانية التي وجد فيها نفسه وهو يعبر عن كل مظهر يعتريه أو حالة يمر بها أو إحساس يستجيب له .

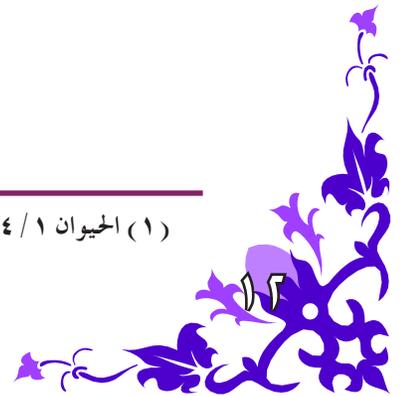
أما صورته وتراكيبه ، ومعانيه وأوزانه ، فإنها واجهة أخرى من واجهات تطوره ومرحلة من مراحل نضجه التي قطعها وهو يتكامل أوزاناً ويستقيم تراكيب ومضامين ، حتى استوى شعراً له قواعده وأبنيته ، يقتفي الشعراء أثره ويسلكون مسالكه التي تأثروا بها والتزموا بنائها .

أما الشعر الذي وصل إلينا ، فحديث الميلاد ، وأول من نهج سبيله وسهل الطريق إليه امرؤ القيس بن حجر ، والمهلهل بن ربيعة .



فإذا استظهرنا الشعر وجدنا له خمسين ومئة عام ، أو مئتي عام قبل الإسلام كما يقول الجاحظ^(١) وهو تحديد معقول بالنسبة إلى ما عرف من شعر ولم يقصد بهذا التحديد أن العرب لم يكن لهم شعر قبل هذا التاريخ أو أنهم قريبو عهد بنظم الشعر ، وإنما كانت صورة الشعر المفقودة وحقيقة التطور الفني لبناء القصيدة ماثلة في ذهن المؤرخين وهم يتحدثون عن هذا العصر . وإذا كانت الابيات المفردة أو المقاطع القصيرة التي بقيت أدلة على مجموعة من أسماء الشعراء المغمورين فإنها تؤكد البعد الزمني الذي قطعتة القصيدة وهي تصل إلى التاريخ الذي حدده الجاحظ وعرفه المؤرخون الذين سبقوه ، فالشعر لا يظهر في أمة من الأمم فجأة وإنما هو نتاج زمن طويل من عمر الأمة ، يمتد إلى أيامها الأولى ، ويساير الإنسان في رحلته الطويلة ، ويسجل أحاسيسه ويعبر عن مطامحه المشروعة وخياراته التي يرتضيها وهو يترنم في محفل أو يقف بين يدي ممدوح أعجبتة خصاله أو يتحدث عن امرأة تلمس في مفاتنها أسباب الإعجاب ، أو يتفجر ألماً وهو يرى عزيزاً عليه أو بطلاً من أبطال قومه اختطفته السيوف أو صرعتة الرماح .

(١) الحيوان ١ / ٧٤ .



الخصائص الفنية لشعر ما قبل الإسلام

من الخصائص التي عرف بها شعر ما قبل الإسلام وضوح معانيه بالنسبة إلى عصره ، وبعده عن التكلف والتزامه بصور التشبيه المستمدة من الواقع ، ومن أجل ذلك كان وثيقة لمن يريد أن يعرف الحياة في عصر ما قبل الإسلام ويقف على عاداتها وطبائعها وسلوك أبنائها وتقاليدهم وقيمهم ، فتشبيهاته منتزعة من عالمه المادي وأخيلته مستقاة من واقعه الحسي وقد حملهم هذا الإحساس وتمسكهم بهذه المنهجية على أن يستدقوا في وصف الأشياء ، ويفصلوا في دقائقها محاولين نقلها إلى قصائدهم نقلاً أميناً وانصرفهم لتوليد المعاني واستنباط الخواطر والوصول إلى الصورة الجديدة ، وقدرتهم على إشاعة الحركة في كل أتمودج وبثهم الحيوية التي تبعد عن الصورة حالة الجمود وتنزع عنها رداء الصمت والثبات .

أما التراكيب فصياغتها تامة تستوفي فيها العبارة مدلولها وتؤدي الجملة المعنى المطلوب وهي صورة أخرى تؤكد نضج المرحلة اللغوية التي قطعها الشعر وهو يعبر عن التجارب الطويلة التي تكاملت في بنائه من حيث وحدة الوزن أو اتحاد القوافي وحركتها وقد استعانوا لغرض التأثير في سامعيهم بطائفة من المحسنات البلاغية التي يُعدُّ التشبيه من أكثرها استعمالاً وأقربها إلى الحس الشعري والتعبير التصويري .



المعلقات قصائد طوال ، اختيرت من أحسن الشعر قبل الإسلام ، تعبيراً ومضموناً وجمال أسلوب . فهي الصورة الناضجة الكاملة التي انتهت إليها تجارب شعراء ما قبل الإسلام في تعبيرهم الأدبي . ولذلك غطت شهرتها ما سواها من شعر ما قبل الإسلام ، وصار لقائلها من الذكر والشهرة ما لم يظفر به غيرهم من شعراء ، واتخذها الأدباء والشعراء - بعد عصرها - قدوة يحاكونها حين ينظمون متأثرين بأسلوبها ولغتها وطريقة نظمها وتسلسل أفكارها ، محاولين أن يبلغوا في قصائدهم مبلغهم في معلقاتهم .

وللمعلقات منزلة عظيمة في شعر عصر ما قبل الإسلام فهي شاهد على طباعهم وأخلاقهم وعاداتهم وطبيعة تفكيرهم . ولهذه القصائد أسماء كثيرة ، ومن هذه التسميات (المعلقات) وهي التسمية الغالبة والأكثر شيوعاً في العصور المتأخرة والمراد بها أنها القصائد التي وقع عليها الاختيار واستحسنها الناس وقيل انها كتبت وعلقت على أستار الكعبة ، هذا هو أحد الآراء في سبب تسميتها إذ إن هناك أكثر من رأي في تسميتها ، ومنها أنّ هذه القصائد لجودتها وامتيازها تعلق في الأذهان ، أو أنّ الإنسان تعلق بها أو أنّ هذه التسمية لها صلة بالعلق بمعنى الشيء الثمين النفيس . وتشير المصادر التاريخية إلى أن حمادة الرواية - الذي عاش في النصف الثاني الهجري - هو الذي جمع هذه القصائد ، وأما أصحابها فهم :



١- الشاعر امرؤ القيس في معلقته التي مطلعها :

قفا نبك من ذكرى حبيبٍ ومنزلٍ بسقط اللوى بين الدخولِ فَحَومِلِ

٢- الشاعر طرفة بن العبد في معلقته التي مطلعها :

خِوَلَةٌ أَطْلَالٌ بِبَرْقَةٍ ثَهْمَدٌ تلوْحُ كِبَاقِي الوِشْمِ فِي ظَاهِرِ اليَدِ

٣- الشاعر زهير بن أبي سلمى في معلقته التي مطلعها :

أَمِنَ أُمٌّ أَوْفَى دَمْنَةً لَمْ تَكَلِّمْ بِحَوْمَانَةِ الدَّرَاجِ فَالْمِثْلَمِ

٤- الشاعر لبيد بن ربيعة في معلقته التي مطلعها :

عَفَتِ الدِّيَارُ مَحَلَّهَا فَمَقَامُهَا بِمَنْى تَأْبَدَ غَوْلُهَا فِرْجَامُهَا

٥- الشاعر عمرو بن كلثوم في معلقته التي مطلعها :

أَلَا هُبِّي بِصَحْنِكَ فَاصْبِحِينَا وَلَا تَبْقِي خُمُورَ الْأَنْدَرِينَا

٦- الشاعر عنتره بن شداد العبسي ومعلقته التي مطلعها :

هَلْ غَادَرَ الشُّعْرَاءُ مِنْ مُتْرَدَمٍ أَمْ هَلْ عَرَفَتِ الدَّارَ بَعْدَ تَوَهُمِ

٧- الشاعر الحارث بن حلزة اليشكري في معلقته التي مطلعها :

أَذْنَتْنَا بَيْنَهَا أَسْمَاءٌ رُبَّ ثَاوٍ يَمَلُّ مِنْهُ الثَّوَاءُ

ومهما يكن من شيء فإن هذه القصائد التي أُطلق عليها المعلقات أو القصائد الطوال كانت صورة واضحة للخصائص المشتركة التي اتفق عليها الشعراء والأنموذج الموثوق به للشعر الصحيح بعد أن أجمع الشُّراح على صدق روايتها واتفق المؤدبون على اختيارها نماذج للشعر العربي يقوِّمون بها ألسنتهم، ويثرون بها حصيلتهم اللغوية، ويدرسون النهج الفني لبناء القصيدة من خلال نماذجها.

أسئلة المناقشة :

١- ما المعلقات ؟ و ما سبب تسميتها بذلك ؟

٢- من أصحاب المعلقات ؟

نماذج من شعر عصر ما قبل الإسلام

امرؤ القيس

هو حُنْدُجٌ^(١) بن حجر بن الحارث من شعراء كندة وامرؤ القيس لقب من ألقابه ينتهي نسبه إلى بيت عريق من بيوتها . ولد في بني أسد فنال حظّه من فصاحتها وشب في كنف قبيلة وفرت له أسباب النعيم وهيأت له عوامل البراعة في قول الشعر وقد اشتهر هذا الشاعر بأسماء كثيرة منها حندجاً وعدياً ومُليكة .

وكان يكنى بأبي وهب وأبي زيد وأبي الحارث ، ويلقب بذئ القروح والملك الضليل وأشهر لَقَبٍ عُرِفَ به بين الناس (امرؤ القيس) والقيس صنم معروف من أصنام الجاهلية ، كانت العرب تعبدّه ، وتنسب إليه .

وامرؤ القيس من أوائل الشعراء الذين وصل إلينا شعرهم ناضجاً مؤتلف الأجزاء لفظاً ومعنى وتقترب أوصافه من بيئته وتعبّر تشبيهاته عن الواقع الحسي الذي يراه . . . ولم يترك فناً من فنون الشعر التي اقتضتها حياته إلا ذهب إليه ، وأخذ منه نصيباً ، فقد ولج باب الغزل فأمعن فيه وقدّم فيه من الصور ما بقيت تشهد له بالسبق والريادة .

(١) الحُنْدُجُ :- بضم الحاء والذال بينهما نون ساكنة ، أرض رملية خصبة تنبت ألواناً من النباتات الطبيعي .

أما الوصف فقد كان له فيه مذهب خاص وحسن لما يثيره في نفسه من ذكريات .
فوصف الليل قد تأمله الشعراء الجاهليون بظلامه ونجومه المتلألئة وسحبه الداكنة
وطول زمنه ووحشته ، ومزجوا بين همومهم وأوصافه وترافق مع أوجاعهم وخيالهم
وشوقهم وكان امرؤ القيس في مقدمتهم وصفاً .. فالصيد وجه من وجوه اهتمامه
يسوقه في جملة مفاخره .

إن رحلة الشاعر الشاققة في تسجيل المجد كانت حالة أخرى من حالاته التي ظل
ينشدها في قصائده ويسعى إليها في نزوعه الكبير لاستعادة مآثر مملكته ، مملكة
كندة العربية .

قال امرؤ القيس في معلقته يصف الليل ورحلة الصيد :-

(للحفظ : ٨ أبيات)

- | | |
|---------------------------------------|----------------------------------|
| عليّ بأنواعِ الهمومِ ليبتلي (١) | وليلٍ كموجِ البحرِ أرخى سدوله |
| وأردفَ أعجازاً وناءً بكلّكِلِ (٢) | فقلتُ له لما تمطى بصلبه |
| بصبحٍ وما الإصباحُ منكُ بأمثلِ (٣) | ألا أيها الليلُ الطويلُ الأجلِ |
| بكلِّ مُغارِ الفتلِ شدتْ بيذُبِلِ (٤) | فيالكُ من ليلٍ كأنَّ نجومه |
| بأمراسِ كتانٍ إلى صمِّ جندلِ (٥) | كأنَّ الثريا علقتْ في مصامها |
| بمنجردِ قيدِ الأوابدِ هيكلِ (٦) | وقد اغتدي والطيّرُ في وكناتها |
| كجلمودِ صخرِ حطّةِ السيلِ من عِلِ (٧) | مكرٍ مفرٍ مُقبلٍ مُدبرٍ معاً |
| كما زلتِ الصفواءُ بالمتنزلِ (٨) | كُميتِ يزلُّ اللبدُ عن حالِ متنه |



على الذبل جِيَّاشٍ كأنَّ اهْتِزَامَهُ	إذا جَاشَ فِيهِ حَمِيهُ غَلِيٌّ مِرْجَلٍ (٩)
دَرِيرٍ كَخُذْرُوفِ الْوَلِيدِ أَمْرُهُ	تَتَابَعُ كَفِيهِ بِخَيْطٍ مُوَصَّلٍ (١٠)
لَهُ أَيُّطَلَا ظَبِي وَسَاقَا نِعَامَةٍ	وإِرْخَاءِ سِرْحَانٍ وَتَقْرِيْبُ تَتْفُلٍ (١١)
كَأَنَّ عَلَى الْمُتَيْنِ مِنْهُ إِذَا انْتَحَى	مَدَاكِ عُرُوسٍ أَوْ صَرَايَةِ حَنْظَلٍ (١٢)



- ١- كموج البحر :- يعني في كثافة ظلمته .
- السِدُول :- الستور ، واحده سِدْل .
- أنواع الهموم :- أي بضروب الهموم .
- ليبتلي :- ليختبر الصبر والجزع .
- ٢- تَمَطَّى بصلبه :- أي تمدد بثقل ظهره ثم تهيأ للنهوض كما يرجو الشاعر غير أنه (أردف أعجازاً) أي رجع بسرعة .
- ناء بكَكَلِكَل : أبعد صدره ، تهيأ لينهض .
- ٣- ألا انجلي :- تمنى انكشاف الليل عنه بالصبح ولكنه تذكر بأن الليل والنهار على السواء كلاهما هموم ولا فرق بينهما ، فالصبح ليس بأفضل من الليل .
- ٤- يَدْبُل :- اسم جبل .
- المغار :- المحكم .



٥- الشريا :- مجموعة نجوم أو النجم الشديد اللمعان الذي يظهر في آخر

الليل .

مصامها :- مواقعها .

أمراس كتان :- حبال من الكتان .

الجنّدل :- الحجارة الصلدة الصماء

٦- أغتدي :- أبكر .

- وكناتها :- مواضعها التي تببت فيها .

- المنجرد :- القصير الشعر .

قيد الأوابد :- السريع في السير الذي إذا أرسل على الأوابد قيدها أي صار

لها قيدها .

الأوابد :- الوحوش .

هيكل :- هو الفرس العظيم الجسم .

٧- مكرّ :- يكرّ إذا أريد ذلك منه .

مفرّ :- يفرّ .

مدبر :- إذا أدبر بعد إقباله .

الجلمود :- الصخرة العظيمة في أعلى الجبل .

من عل :- من مكان عالٍ .

٨- الكميت :- الفرس ذات اللون المخالط للأسود والأحمر وهو أصلب الخيل

جلوداً وحوافر .

اللبد :- ما يتلبد من شعر أو صوف .

حال المتن :- موضع اللبد من الفرس أو وسط الظهر .



- الصفواء :- الحجر الصلد الضخم ، لا يثبت عليه شيء .
- المتنزل :- الذي ينزل على مهله .
- ٩- الجيَّاش :- الفرس اذا حركته بعقبك جاش وتزايد عدوه فلا ينقطع جريه .
- اهتزامة :- صوته الشديد .
- جاش :- هاج واضطرب وغلي .
- المرجل :- القدر .
- ١٠- الدرير :- كثير الجري .
- الخذروف :- قطعة من عظم أو غيره يدوره الصبي بخيط في يده فيسمع له دوي وصوت .
- أمره :- أداره .
- ١١- الأيطل :- الخاصرة .
- الإرخاء :- ضرب من عدو الذئب .
- التقريب :- أن يرفع يديه معاً ويضعهما معاً في العدو .
- التتفل :- ولد الثعلب .
- ١٢- انتحى :- أعرض .
- المداك :- الحجر الأملس الذي يسحق عليه . وخص مداك العروس لقرب عهده بالطيب .
- صراية حنظل :- الحنظلة الصفراء البراقة .



يعد امرؤ القيس من أكثر الشعراء وصفاً في عصر ما قبل الإسلام لما حفل به ديوانه من أوصاف وما قدمه من تشبيهات وما استعمله من ضروب البلاغة حتى عد من الأوائل في الوقوف على الطلل واستذكار الديار ووصف الليل . وذكر الحبيب والمنزل وتسخير خياله لاستنباط غريب المعنى من واقعه المحسوس .. ويمكن عدّ وصفه للطلل والديار والليل والصيد والفرس من أكثر الموضوعات التي أفرغ فيها قدرته .

ولوّن قصائده بإبداعه في اختيار التشبيهات واستحضاره لما يقرب في نفسه كل محاولة تعطي الموصوفات قوة التعبير وتضفي عليها طابع الحركة الحية .
فالشاعر يصف الليل وهو يعاني طوله بسبب الهموم التي انتابته ، ولكم كان يتمنى انجلاءه ليكشف الصبح عن نفسه ، حتى إنه كان يتصور أن نجومه ربطت إلى جبل محكم الفتل فكانت واقفة لا تهجر مكانها . هذا يعني ان الشاعر أراد في وصف الليل توضيح معنيين أساسيين هما :-

اولاً :- استمرار الليل وطوله دون انتهاء .

ثانياً :- كثرة الهموم والأحزان التي تلازمه دائماً .

أما الصيد فهو موضوع له في نفسه طابع يجتمع فيه الغدو المبكر والمباغثة التي تحقق له الغاية ، وهي صورة حددت المعالم الفنية والإطار الذي يتحرك فيه كل الشعراء الذين يريدون أن يباشروا الصيد ، وأصبحت عبارة (وقد أعتدي)



النغم الشعري الذي يفتح بها قصائد الطرد لأنها المدخل المبكر للمعاني المباشرة التي تعطي أهمية للفرس - وسيلة الصيد - فالشاعر يصف فرسه وصفاً رائعاً وقف عند سرعته فكان قيداً لأوابد الوحش إذا انطلقت في الصحراء . وانها لا تستطيع إفلتاً منه كأنه قيد يأخذ بأرجلها ، وهو لشدة حركته وسرعته يخيل إليك كأنه يفر ويكر في الوقت نفسه ويقبل ويدبر في آن واحد ، وجمود صخر يهوي به السيل من ذروة جبل عالٍ ، وأن لبدّه - شعره وصفه - لشدة حركته ليسقط عنه وينزلق كما تنزلق الصخرة من منحدر عال .

وهو يصب الجري صباً ويسبق الخيل سبقاً ، ولا يثير غباراً ولا نقعاً ، وما إن يحركه راكبه حتى يغلي غليان القدر لا يتعب ولا يفتر وإذا ركبه لا يستطيع الثبات عليه ، ويشبهه الشاعر في سرعة انطلاقه بلعبة الخدروف الدوارة التي يلعب بها الصبيان . وهو فرس ضامر كأنه ظبي نافر له خاصرتان نحيلتان ، وساقاه ساقا نعامة في الصلابة والصلابة ، وعدوه كإرخاء الذئب ، وتقريبه تقريب الثعلب وهي صور أربع تلتقي في اختيار ما يبرزها من حيث الضمور والقوة والسرعة ، ويبقى لمعان ظهره اذا عرض للناظر كأنه طيب عروس أو حنظلة صفراء براقعة لشدة ملاسة ظهره وصلابته ، وهي إضافة أخرى لما عرض له الشاعر يضيفي من خلالها على فرسه هذه الخصائص متبصراً الواقع الذي يحيط به لرسم صورة امتلكت روعتها الجمالية وحركتها المذهلة ..



طرفة بن العبد

هو عمرو بن العبد بن سفيان بن سعد بن مالك بن عباد بن ضبيعة بن قيس ابن ثعلبة ، و طرفة لقبه وكنيته أبو إسحق ، توفي والده وهو صغير ، وكان أحدث الشعراء سناً وأقلهم عمراً .

قتل وهو ابن ست وعشرين سنة - لذا يقال عنه (ابن العشرين) حتى إنه عندما سألوا لبيداً :- من أشعر العرب ؟ فقال :- الملك الضليل (يعني امراً القيس) وابن العشرين (يعني طرفة) .

يمتاز شعره بنضجه وائتلاف عباراته لفظاً ومعنى ، يقترب في أوصافه وتعابيره في رسم بيئته و تصويرها . أنشأ في أغراض الشعر كافة من وصف ومدح وهجاء وغزل وفخر فكان شعره سجلاً صادقاً لمرحلته التاريخية على الرغم من تجربته الشعرية القصيرة ، يقول عنه المفضل الضبي : - أحد النقاد القدامى - (كان طرفة في حسب كريم وعدد كثير وكان شاعراً جريئاً على الشعر) إذ إن شعره الذي بين أيدينا يرسم شخصيته بوضوح .. فهو الفتى الشجاع ، المتوقد حيوية ونشاطاً وهو الكريم الذي لا ينزل الأماكن الخفية ولا يتستر مخافة الضيوف .. وهو لا يتردد ولا يكسل ولا يتوانى عندما يُنتدب لأمر مهم ، كونه الفتى الذي ملأ نفسه ثقة و إعجاباً بها وشعوراً بالتفرد والتميز .



قال طرفة بن العبد في معلقته :-

(للحفظ : ٨ أبيات)

إذا القومُ قالوا مَنْ فتىً خلتُ أنني
فإن تبغني في حلقةِ القومِ تلقني
وإن يلتقِ الحيَّ الجميعَ تلاقني
كريمٍ يرّوي نفسه في حياته
أرى قبرَ نَحامٍ بخيلٍ بماله
أرى الموتَ يعتام الكرام ويصطفي
أرى العيشَ كنزاً ناقصاً كل ليلة
ستبدي لك الأيام ما كنت جاهلاً
ويأتيك بالأخبار مَنْ لَمْ تبع له

عُنيتُ فلم أكسلُ ولم أتبلدُ^(١)
وإن تلتمسنِي في الحوانيتِ تصطدِ
إلى ذروةِ البيتِ الشريفِ المصمِدِ^(٢)
ستعلم إن متنا غداً أيّنا الصدي^(٣)
كقبرِ غويٍّ في البطالةِ مفسدِ^(٤)
عقيلة مالِ الفاحشِ المتشددِ^(٥)
وما تنقص الأيامِ والدهرُ ينفدِ^(٦)
ويأتيك بالأخبارِ مَنْ لَمْ تزودِ^(٧)
بتاتاً ولم تضربْ له وقتَ موعدِ



١- خلت :- ظننت .

أتبلد :- من البلادة - الجهالة - أجاهل .

٢- البيت الشريف المصمد :- بيت الأشراف من الناس الذي يقصد في الحوائج .

٣- الصدي :- العطشان .

٤- نَحَام :- بخيل - يقال رجل نَحَام - إذا طلبت إليه حاجة كثر سعاله .

- غوي :- الذي يتبع هواه ولذته .

٥- يعتام :- يختار .

- الفاحش :- القبيح - السييء الخلق .

٦- أرى الدهر :- أرى العمر .

- ينفد :- ينتهي .

٧- ستبدي :- ستظهر .

- لم تزود :- الذي لا تأبه له .



يحاول الشاعر طرفة بن العبد في قصيدته هذه أن يسوِّغ سلوكه بما يقدمه من فلسفة خاصة في الحياة .. فهو الحاضر في كل الأوقات والمناسبات في الداخل والخارج ... فالحياة عنده بداية نهايتها الموت ، الذي هو غاية كل حي فلا معنى لأن يحرص على المال حرصاً يحرمه المتعة والسعادة ؛ فالموت لا يفرق بين غني وفقير ، وإنهما يستويان في مصيرهما بعد الموت .

لذا فالشاعر يسخر بمن يقتر على نفسه وغيره ويمضي في شظف من العيش وقد أحس الشاعر الجاهلي بهذه المعاني وكان إحساسه بها قوياً ؛ لأن الجود بالمال من الفضائل التي يحرص عليها .

وقد بلغ من تأصيل هذه الفضيلة في البيئة الجاهلية أن ظهر فيها أشخاص أصبحوا رمزاً لها ينسب إليهم كثير من مظاهر الكرم كحاتم الطائي .
وفلسفة الشاعر في الحياة فلسفة سهلة واضحة مرتبطة بإحساسه ارتباطاً وثيقاً
متمثلاً بالابتعاد عن الغموض أو التعقيد ما يحول دون إدراك السامع لها في
سهولة ويسر ، وهو يدعو إلى الحبة والتوادم مع انتزاع التشبيهات من طبيعة
بيئته .



زهير بن أبي سُلمى

هو زهير بن أبي سُلمى المزني نسباً والغطفاني نشأة وتربية ، عاش خلال الحروب التي نشبت بين عبس وذبيان ، حروب داحس والغبراء : وليس بين أيدينا ما يكشف عن نشأة زهير سوى أخبار متباعدة ، ولكنه يؤرخ في شعره لهذه الحروب التي أنهكت القبائل وأغرقتها في أتون الخصومات ، وتركها نهياً لاطماع الدولتين الساسانية والبيزنطية . وقد انبرى لايقاف نزيها وحقق الدماء سيدان من سادات العرب هما هَرْمُ بن سنان والحارث بن عوف إذ تحملا ديات القتلى ، واعتدَّ زهير بهذه المنة الجليلة فأشاد بها في معلقاته وظل طوال حياته يمدح هرماً ويمجده .

وحياة زهير من الوجهة الادبية حياة حافلة بالمجد ، فقد ورث الشعر عن أبيه وخاله وكانت أخته سلمى والخنساء من الشواعر . وورث ابنه كعب وبجير الشعر عنه ، واستمر في بيته أجيالاً ، وهي حال توحى بأهمية الشعر والتربية التي كان الأبناء ينشؤون عليها فقد كان زهير يلحق أولاده الشعر و طريقة نظمه وصوغه فيرددونه عنه حتى تنطبع في أنفسهم وتذكر الروايات أنه عمّر طويلاً ونهج زهير في نظم قصائده طريق الشعراء القدماء وهم يقدمون لبعض قصائدهم بالغزل والوقوف على الأطلال والحديث عن الديار وذكر الحيوانات التي ترتاد هذه الديار .



وتأخذ الراحلة في قصائد زهير صور عدة فهي تقطع الفلوات وتهبط الوديان وعلى هواجها الستائر وتمر على منازل الاحلاف والأعداء وتظهر براعة الشاعر في صوره التي يعرض لها عرضاً حياً ويضفي عليها ألوان الحركة وتتجلى هذه البراعة أيضاً في وصف الوحش والصيد وهو يختار اللفظة المناسبة والعبارة الموحية والحيوان الذي يودع في ذكر أوصافه وسرعة حركته وذعره وهيئته وهو يتابعه وصفاً دقيقاً ويوفق بين التفاصيل الدقيقة التي يمكن ان تتركه صيداً تنوشه سهام غلامه ولم يترك الشاعر الوضع النفسي والحسي الذي تحكم في الاطراف المتحركة في الصورة . وإنما أولاهها من نفسه ما أغنى ابعادها وحرك كل نبضة من نبضاتها . وحاول زهير أن يقدم من خلال صورة ممدوحيه إنموذج الشجاعة والكرم والحلم والعفو عن المسيء في العشيرة والدفع بالمعروف من القول والعطف على الفقراء وتجنب الفواحش والآثام واقرنت هذه الصورة المثالية للرجل الفاضل في شعره بكثير من الحلم والدعوة إلى مكارم الأخلاق وقد دفعه هذا إلى أن يذيل بعض قصائده من الأبيات التي تصور هذه السمات .

قال زهير : (للحفظ ٨ أبيات)

وما الحرب إلا ما علمتم وذُقتُم	وما هو عنها بالحدِيثِ المرجمِ (١)
متى تبعنوها تبعنوها ذميمةً	وتضر إذا ضرّيتموها فتضرم (٢)
فتعرككم عرك الرّحى بتفاليها	وتلقح كشافاً ثم تنتج فتئم (٣)



فأقسمت بالبيت الذي طاف حوله
 يميناً لنعم السيدان ووجدتما
 تداركتما عبساً وذبيان بعدما
 وقد قلتما إن ندرِك السلم واسعاً
 فأصبحتما منها على خير موطنٍ
 رجالٌ بنوه من قريش وجُرهم^(٤)
 على كل حالٍ من سحيلٍ ومبرم^(٥)
 تفانوا ودقوا بينهم عطر منشم^(٦)
 بمالٍ ومعروفٍ من القولِ نسلم^(٧)
 بعيدين فيها من عقوقٍ ومأثم^(٨)

وقال أيضاً :

ومن هاب أسباب المنايا ينلنه
 ومن يك ذا فضلٍ فيخل بفضله
 ومن يغترب يحسب عدواً صديقه
 ومن لا يصانع في أمورٍ كثيرةٍ
 ومن يجعل المعروف من دون عرضه
 ومهما تكن عند امرئٍ من خليقةٍ
 ولو رام أسباب السماء بسلمٍ
 على قومه يُستغن عنه ويذم
 ومن لم يكرم نفسه لم يكرم
 يضرس بأنيابٍ ويوطأ بمنسم
 يفره ومن لا يتق الشتم يُشتم
 وإن خالها تخفى على الناس تعلم



- ١ - المرجم : يرمم فيه بالظنون .
- ٢ - تضرر : تضرى تشتد الحرب .
- تضرم : تلتهب وتشتعل .
- ٣ - الرحي : آلة تستعمل لطحن الحبوب . ٤ - البيت : بيت الله الحرام (الكعبة) .
- ثغالها : قطعة قماش أو جلد توضح
- تحت الرحي .
- ٥ - يميناً : قسماً .
- فتتم : تلد توأمين .

- السحيل : خيط واحد لم يبرم مع غيره ، والمقصود هنا الأمر السهل .
- المبرم : خيطان يبرمان فيصيران خيطاً واحداً ، كناية عن الأمر الشديد ، يعني أنتما خير الرجال في الرخاء والشدة .
- ٦- مَنْشَم : اسم امرأة اقترن اسمها بهذا العطر لأنها كانت تبيعه للمتحارين .
- ٧- السلم : بكسر السين وفتححه أيضا : الصلح .
- واسع : ممكن .
- ٨- خير موطن : خير مكان ومنزلة .
- العقوق : القطيعة بين الأهل والأقرباء والأصدقاء .
- المأثم : ما يصيب الإنسان من الإثم .



من العوامل المؤثرة في حياة زهير ، والمؤكدة له التميز الشعري ، قدرته في متابعة الحدث وشدة ملاحظته في الاستقصاء ، ونشوؤه في بيئة شعرية ومعاصرتة لحرب طاحنة أنطقت الشعراء ، فكانت مصدر شعر كثير ، وعظمت مآسيها فكان الشعر وسيلة لإخماد لهيبها وإيقاف نزيهها ، وتعظيم من سعى لإصلاح ذات البين وإسكات صوت الفتنة . وقد أحسن الشاعر في التعبير عن صدق إحساسه في تخليد سيدين من سادات العرب تحملا ديات القتلى وأصلحا ما تمزق من أمر القبائل .



وقد حمّله إعجابه على الإشادة بالسلم فكان صوتاً يجابه فكرة الثأر ، ويخرج على المؤلف من تأجيج أسبابه متجاوزاً ما درج عليه كثير من الشعراء فانضم إلى مجموعة الأصوات الداعية للسلم وزهير يقدم قصيدته بين رجلين كريمين وسيدين عظيمين حين سعيها بالصلح بين ذبيان وعبس ، وأعلنا أنهما يتحملان ديّات القتلى حتى تضع الحرب أوزارها بين القبيلتين المتناحرتين ، وتصادف في أثناء ذلك أن قتل الحسين بن ضمضم عسيماً ثاراً لأخيه هرم بن ضمضم وكان قد قتله ورد بن حابس العبسي فنارت عبس وشهرت سيوفها تريد أن تعيد الحرب ، وسرعان ما تقدم الحارث بمئة من الإبل ، فقبلوا الدية ودخلوا في الصلح وانتهت الحرب الدامية وقد أشرقت في معانيه صورة الاحساس بنزعة الخير ، وإيمانه بقدره الإنسان على تجاوز الحالات السلبية التي تعتريه .

فالشاعر يصور الحرب بصور مخيفة مفزعة فهي تارة نار مشتعلة ، وتارة رحي تطحن الناس وتارة ثالثة تلد ، ولكنها لا تلد إلا ذراري شؤم .



النابغة الذبياني

هو زياد بن معاوية . لقب بالنابغة لنبوغه في شعره وتفوقه فيه ، وهناك مجموعة من الشعراء المخضرمين والإسلاميين لقبوا بهذا اللقب . كان من أشرف ذبيان . صاحبَ النعمان بن المنذر ملك الحيرة ، ولزمه زمناً طويلاً يتغنى بمناقبه ويشيد بمآثره ، وأصبح من المقربين إليه . وقد حفل شعره بهذه المدائح التي عُرفت بصدقِ عواطفها وأصالة قيمها . وتؤكد أخبار الشاعر أنَّ حادثاً حدث اضطره إلى مغادرة بلاط المناذرة ، والتوجه إلى بلاط الغساسنة ، حتى أوقع الغساسنة بذيبيان وأحلافهم وقعة منكرةٍ إثر تجاوزهم على بعض المراعي التي منعوا القبائل من ارتيادها ولم يجد النابغة بُدّاً من أن يسعى إلى الغساسنة وأن يمدحهم حتى يكفوا عن قومه ويردوا الحرية إلى مَنْ سبوه ، وظل في بلاط الغساسنة يببالغون في إكرامه ويبالغ في مديحهم فكانت سفارته ذات فوائد جلييلة ، وما زال يرعى مصالحهم حتى توفي عمرو ثم مَلَكَ أخوه النعمان ، فعاد إلى النعمان بن المنذر ملك الحيرة وكانت بداية اعتذارياته قد قدمها إليه فعفا عنه ، وعاد إلى بلاطه وحظي برضاه .

نالت مدائحه مكانة متميزة ، لأنها صدرت عن وفاء خالص عبرت عن التزام أخلاقي وأنَّ اعتذارياته كانت تمثل الصّوت الحضاري واللهجة البعيدة عن الجفوة والرقّة في التعبير ، والتلطف الذي يزيل من نفس النعمان ظنه السيئ وقد أعانته على هذا التفوق في هذا الضرب الشعري لطافته الحضارية ومعرفته التي اكتسبها جراء ترده على المدن وذوقه الذي اختفت منه خشونة البادية .

(للحفظ : ٨ أبيات)

وعيدُ أبي قابوسَ في غير كُنْهه

أتاني ودوني راکس فالضواجعُ (١)

فبتُّ كأني ساورتني ضئيلةٌ

من الرُقش في أنيابها السَّم ناقعُ (٢)

يسهّد من ليل التّمَام سَلِيمُها

حَلِي النساءِ في يديه قَعاقِعُ (٣)

تناذرها الراقون من سوء سَمِّها

تُطلِّقه طوراً وطوراً تُراجعُ (٤)

أتاني - أبيت اللّعن - أنك لمتني

وتلك التي تَسْتَكُّ منا المِسامِعُ (٥)

مقالة أن قد قلت : سَوَف أَنالُه

وذلك من تلقاءٍ مثلك رائِعُ

حلفتُ فلم أترك لنفسيك ربيّةً

وهل يَأْتَمَنُ ذو أَمّةٍ وهو طائِعُ (٦)

وكَلّفتني ذنبَ أمرئٍ وتركتُه

كذبي العُرِّ يَكوى غيره وهو راتِعُ (٧)



فإن كنتَ لا ذو الضَّغْنِ عني مكذَّب

ولا حَلِفي عند البراءة نافعُ

ولا أنا مأمون بشيء أقولُه

وأنت بأمرٍ لا محالة واقِعُ

فإنك كالليل الذي هو مدركي

وإن خِلْتُ أن المتأى عنك واسعٌ^(٨)



(١) في غير كنهه : كنهه : حقيقته ، يريد على غير ذنب منه . راكس : واد

في منازل بني أسد . الضواجع : منحني الوادي .

(٢) ساورتنني : لدغتنني . ضئيلة : أفعى دقيقة الجسم . الرقش : جمع

رقشاء وهي المنقطة نقطاً بيضاء وسوداء . ناقع : قاتل .

(٣) يسهد : يمنع من النوم . ليل التمام : أطول ليالي الشتاء . السليم :

الملدوغ . قعاقع : أصوات . كانوا يجعلون الحلبي في يد الملدوغ اعتقاداً منهم بأنها

تشفيه .

يقول من خبثها لا تجيب الراقي ، بل مرة تجيب ومرة لا تجيب .

(٤) تناذرها الراقون : خوف بعضهم بعضاً منها .

(٥) تستك : تضيق .



(٦) أمة : هنا دين .

(٧) العر : الجرب . كانوا يداوون الابل منه بكيها .

(٨) المنتأى : المكان النائي البعيد .



يقول النابغة في أبياته : إنّ وعيدك اتاني وأنا آمن في قومي وبينني وبينك منازل بني أسد ومن وراءهم فأملت حفظاً للعهد وبت مسهداً كأنما لدغنتي أفعى ، وهي صورة بارعة ، وقد أخذ يدقق فيها حتى يجسم ألمه ، فهي أفعى من الرقش تستودع السم في أنيابها الحادة ، فمن عضته لم يطف به النوم من شدة الألم وعلق عليه أهله الحلبي والخلاخيل حتى يفيق ويبرأ . وهي من الافاعي الخبيثة التي قلما أجابت الرقى بمعنى نفعت معاها الرقى ، وإن الرقاة والحاوين ليرهبونها ويتخوفون من أن يطأوا حماها .

ويصور النابغة للنعمان فزعه حين أتاه أنه يلومه ، ويحلف له بأيمانه الوثنية - ويختار هنا الحلف بالإبل التي كانوا يندرونها لآلهتهم ويقف ليعطينا صورة عن هذه الإبل فهي تقبل على مكة مسرعة سرعة السهام ، حتى لكأنها تباري الريح وقد أجهدت من السير وطول السفر ، حتى إن بعضها سقط في الطريق إعياء فلم ينبعث ولم يستطع براحاً ، وقد بقي عليها شعث مغبرون يقصدون الحج . وقد أخذها النحول حتى لكأنها القسي الضامرة - وهذا اليمين العظيم يقسم به .



لقد حاول النابغة التنصّل مما سمع عنه بعض الوشاة أنّه انصرف إلى الغساسنة
يمدحهم ويهجوهم وكان حرياً به - أي بالملك - أن ينزل سخطه على الواشي وإلا
فمثله ومثل من وسوس للنعمان مثل البعير السليم يكوى من الجرب ، والأجرب
راتع بجانبه لا يصيبه كيّ ولا أذى . وهي صورة أخرى بارعة . ويقول : «إن كنت
لا تكذب مَنْ يضطغن عليّ ولا تصدق يميني ولا حلّفي فما أحراني بالرهبة منك
والخوف من بطشك» . إن فن الاعتذار في ابیات النابغة يتخذ صفة المدح بنغمية
شفافة و باستعمال أسلوب بليغ يتناسب ومخاطبة السلطان بلغة جزلة ذات
إيقاع موسيقي رقيق ووصف رائع ينقل كوامن النفس وخلجاتها للوصول الى
غايته وهي العودة الى بلاط دولة المناذرة (دولة النعمان بن المنذر) .

إنها صورة أخرى لحياة إنسان الجزيرة العربية ، وانعكاس لأثر اعتزازه بانتمائته
لقومه وولائه للسلطان واحترامه لسيادته ، فجاءت الصورة التي رسمها النابغة
وغيره من الشعراء معبرة عن طبيعية الحياة الخاصة والعامة ، وعن إيجابيات
الحياة وسلبياتها لمجتمع قدم عبره الصورة الشعرية بألوان يشع نورها كلما
تقادم الزمن .



الأعشى

هو ميمون بن قيس وسمي الأعشى لضعف بصره وكان يكنى بأبي بصير وللأعشى بين شعراء العرب قبل الإسلام منزلة رفيعة واضحة في كثرة قصائده الطويلة وتنوع فنون الشعر التي طرقها من مدح وهجاء وفخر ووصف وغزل وحماسة ، وقد أهلت أسفاره الطويلة التي جاب بها أطراف الجزيرة للوقوف على مواقع كثيرة ، ويتحدث عن رحلته التي استغرقت أكثر مقدمات قصائده حتى أوشك أن ينفرد بهذه الصفة ، وعرض لتشبيهات جديدة و لاسيما عن ذكر الناقة التي كانت رفيقة سفره وصاحبة حله وترحاله . ولون شعره بنماذج حضارية برزت فيها رفته ووضح في أبياته تأثره بما زاره من مراكز الحضارة في اليمن أو اليمامة واختلاطه بأهل الحضرة .

ولعل قصائد المديح التي أفرط فيها بوصف ممدوحيه وبالغ في أوصافهم إلى حد الإسراف والإفراط تكشف عن هذا التأثير وتبعده عن المديح الذي كان معروفاً عند معاصريه ، ولابد أن يكون الفخر باباً من أبواب شعره التي نالت حظاً وافراً لشعوره بأهمية هذا الفن ليجمع فيه المفاخر والمآثر ، وليتمكن من تهيئة الجو المناسب لمجابهة الخصوم وإعداد أبناء قومه إعداداً نفسياً في عصر احتدم فيه الصراع وتعرضت الجزيرة العربية لتحديات خطيرة .



(للدرس)

- ودّع هريرة إنَّ الركبَ مرَّحِلُ
غراءُ فرعاءُ مصقولُ عوارضُها
كأنَّ مشيتها من بيت جارتها
ليست كمن يكره الجيران طلعتها
يكاد يصرعها لولا تشدُّدها
إذا تقوم يצוע المسك أضورةً
ما روضة من رياض الحزنِ معشبة
يضاحك الشمس فيها كوكب شَرِقُ
يوماً بأطيب منها نشرَ رائحة
- وهل تُطيقُ وداعاً أيها الرجلُ (١)
تمشي الهوينا كما يمشي الوجي الوحلُ (٢)
مرَّ السحابة لا ريثٌ ولا عجلُ (٣)
ولا تراها لسرِّ الجار تختلُ (٤)
إذا تقوم إلى جاراتها الكسلُ (٥)
والزنبق الورد من أردانها شملُ (٦)
خضراءُ جاد عليها مسبلٌ هطلُ (٧)
مؤزَّرٌ بعميمِ النبت مُكتهلُ (٨)
ولا بأحسن منها إذ دنا الأصلُ (٩)



١- هريرة : اسم محبوبته ، الركب : جماعة الإبل في القافلة .

٢- غراء : بيضاء ناصعة الجبين ، الفرعاء : الطويلة الشَّعر ، العوارض : الأنياب والرباعيات ، تمشي الهوينا : أي على رسلها ، ليست بوثابة .

الوجي : البعير الذي يشتكي حُفَّه ، الوحل : من الوحل وهو الطين

٣- الريث : البطء .



- ٤- تختل : أي ، لا تفعل هذا لتسمع السرّ .
- ٥- يصرعها الكسل : تسقط على الأرض .
- ٦- يצוע : يذهب ريحه بعيداً ، الزنبق : ما كان يضرب إلى الحمرة من الورد
- شَمِل : عام محيط .
- ٧- الحَزَن : بفتح الحاء وسكون الزاي ، المكان المرتفع ، مسبل هطل : مطر غزير .
- رياض : جمع روضة ، الأرض المشبعة بالنبات .
- ٨- يضحك الشمس : يدور معها حيث دارت ، كوكب : كل شيء : معظمه
- شَرِق : رِيَان ممتلئ . مؤزر : من الإزار ، والمقصود بها الإحاطة ، العميم :
- التام الحَسَن ، مكتهل : انتهى في التمام .
- ٩- نشر رائحة : طيبة ، الأصل : ما بين العصر إلى المغرب .



تخرج القصيدة عن النمط المألوف من حيث الالتزام بمنهجية المطالع الطللية إذ إن الشاعر يتحدث عن وداع (هريرة) التي جعل وداعها أثراً موجعاً بعد أن تهيأ الركب للرحيل - ولم يجد من الوداع بدأً ولكن حالة الضعف التي بدأت تتسرب من خلال الاستفهام الذي حدده الشاعر والتساؤل الحاد الذي استدرك به الأمر يؤكد حالة الضعف والتردد التي داخلت حديثه وأوشكت أن تفقد الفعل قدرته وهو يتراجع باستعمال الفعل (تطبيق) وتأكيد التشخيص .

حين خاطب نفسه بالرجل :..... وهل تطيق وداعاً أيها الرجل فالشاعر
يبتدئ بالوداع الذي لم يجد نفسه قادراً عليه بعد أن بدأ خيال (هريرة) يتمثل
له بصورتها الوضيئة وشعرها المسترسل وثرغها الذي نصعت عوارضه (رباعياته
وأنيابه) وخطواتها الوداعة وخفة حركتها وقد شبهها لبطئها بحركة البعير الذي
يشتكى خفه وهو يسير في الطين . (تمشي الهويينا كما يمشي الوجي الوحل) .
لقد أضفى الشاعر في قصيدته هذه جانباً إنسانياً بعد أن أظهر من خلقها السماح
وقد اكتسبت إعجاب من جاورها إضافة إلى إضفاء الصفات التي تناسب المقاييس
المطلوبة للمرأة فهي مكتنزة القدّ - حسنة الخلق - مترفة منعمة - مقارنة الخطو
إذا مشت وإذا قامت فاض المسك حتى ملأ دروبها فاختلط برائحة الزنبق
الذي يعطر أردانها واختار الشاعر (الزنبق الورد) بوصفه أجودها وزينه
بالحمرة لونا مشرقاً يدخل البهجة ويبث في النفس الرغبة لمتابعة اللوحة المزهرة ،
التي كأنها روضة من رياض الجنة وتبقى مفردة (الأردن) نابضة بموسيقاها
اللفظية ودلالاتها الحسية وإيحائها المجسد بتقريب أطراف الأكمام لتظل رقة
المرأة الموصوفة مصاحبة للحدث ومثيرة للمشاعر ، ولتهم المفردات المتداخلة
في اكتمال اللوحة الفنية للقصيد ، وقد استعاض الشاعر بالمفردات عن اللون
التشكيلي و يرسم لوحته المعبرة ؛ فاللفظة يمكن لها أن تعبر و تمزج بين الصوت
والصورة و اللون أكثر من غيرها .



عمرو بن كلثوم

من شعراء الفخر الذين حفلت الجزيرة العربية بقصائدهم وأوشكت قصيدته :

ألا هُبي بصحنك فاصبحينا ولا تُبقي خمور الأندرينا

أن تكون نشيداً حماسياً والصوت الرافض والإباء الكريم والعزة النبيلة ، لما ذكر فيها من مآثر ، ووقف عنده من أيام مجيدة ، ودعا إليه من حياة عزيزة وهي من القصائد المتفق على روايتها ضمن القصائد الطوال التي نالت عناية خاصة عند الشُّرَّاح واهتماماً كبيراً لدى اللغويين . وإذا كانت شهرة القصيدة قد امتدت لمساحات واسعة بعد الإسلام وعرفتها بيئات مختلفة واستشهدت بها عند الاحساس بالتأزم النفسي الحاد فإنَّ شهرتها قبل الإسلام كانت واسعة لتمجيدها قبيلة تغلب ولانتشار هذه القبيلة في أطراف متباعدة .

وعمر بن كلثوم من كبار شعراء ما قبل الإسلام ، وهو من الشعراء المقلين ، وله قصة مشهورة مع عمرو بن هند ملك الحيرة ، وتعد قصيدته أو مطولته هذه من أشهر أشعاره وهي تكتسب أهمية سياسية معينة بعد أن وظَّف الشاعر فنه للفخر والاعتزاز بمجد قبيلته والإشادة بقوتها وعظمتها ، وقد هيا هذا الاعتزاز لقصيدته أن تأخذ المدى المناسب في شعر الفخر والريادة المتميزة في الشعر الحماسي ، لما حملته من قيم الإباء وصور التضحية ونماذج التحدي ، والتغني بأمجاد أمته التي تكاد المفاهيم الإنسانية والإيمانية وحبَّ الناس أجمع تجدها صداها في نماذج الشعر اللاحق لتلك المرحلة ، ولا سيَّما توجهات الدين الحنيف وإيمان الشعراء به بعد حين .



قال عمرو بن كلثوم يذكر أيام قومه ويفخر بهم من مطولته :

(للدرس)

أبا هِنْدٍ فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْنَا

(١) وَأَنْظِرْنَا نُخَبِّرَكَ الْيَقِينَا

بَأْنَا نُورِدُ الرِّايَاتِ بِيضاً

(٢) وَنُصَدِرُهُنَّ حُمْراً قَدْ رَوَيْنَا

وَأَيَّامٍ لَنَا غَيْرِ طُوالِ

(٣) عَصِينَا الْمَلِكِ فِيهَا أَنْ نَدِينَا

وَسِيدِ مَعْشَرٍ قَدْ تَوَجَّوهُ

(٤) بَتَاجِ الْمَلِكِ يَحْمِي الْمُحْجَرِينَا

تَرَكَنَا الْخَيْلَ عَاكِفَةً عَلَيْهِ

(٥) مَقْلَدَةً أَعْنَتَهَا صَفُونَا

وَقَدْ عَلِمَ الْقَبَائِلُ مِنْ مَعَدِّ

(٦) إِذَا قُبِّبَ بِأَبْطَحِهَا بَنِينَا

بَأْنَا الْمُطْمَعُونَ إِذَا قَدَرْنَا

وَأَنَّا الْمَهْلُكُونَ إِذَا ابْتَلِينَا

وَأَنَّا الْمَانِعُونَ لِمَا أَرَدْنَا

وَأَنَّا النَّازِلُونَ بِحَيْثُ شِينَا



وأنا التاركون إذا سخطنا
وأنا الآخذون إذا رضينا
وأنا العاصمون إذا أطعنا
وأنا العارمُونَ إذا عصينا (٧)
ونشربُ إن وردنا الماءَ صَفْوَاً
وَيَشْرَبُ غَيْرُنَا كَدْرًا وَطِينَا
مألْنَا البَرَّ حَتَّى ضَاقَ عَنَّا
وماءُ البَحْرِ فَمَلَّؤُهُ سَفِينَا



- (١) أبا هند : عمرو بن هند . وأنظرنا ، معناه : انتظرنا ويجوز أن يكون معناه اخبرنا ، ونصب أبا على النداء . والفاء تصل ما بعدها بما قبلها . ونخبرك جواب الشرط المقدر، اي ان تنظرنا نخبرك .
- (٢) الرايات : الأعلام : ونصدرهن : أي : نردهن حمراً قد روين من الدم .
- (٣) الغر : البيض ، وواحدة الغر : أغر وسمى الأيام غراً طوالاً لعلوهم على الملك وامتناعهم منه لعزهم . فأيامهم غُرُّ لهم . وطوال على أعدائهم والأيام مجرورة بإضمار (رُبَّ) ، أي : وربَّ أيام غر ...
- (٤) يحمي : يمنع . المحجرين : الذين أُلجئوا إلى المضيق ، مجرور بإضمار رُبَّ .



(٥) تركنا الخيل عاكفة : واقفة ومقيمة عليه . والصفون واحدها صافن

وهو الفرس القائم على ثلاث .

(٦) وقد علم القبائل : اذا ضربت القباب فإننا سادة العرب وأشرفهم .

والأبطح : وادٍ فيه حصى . وقيل أراد أبطح مكة

الذي يجتمع فيه الناس من كل وجه .

(٧) العاصمون : المانعون . العارمون : من العرامة وهي الشراسة في

الحرب .



حظيت مطولة عمرو بن كلثوم باهتمام النقاد القدماء حتى قالوا بعد أن فرغوا من قراءتها : «إنه لا يعدلُها شيء لأنها النشيد الذي تغنى به أبناء قبيلته لما حفظته من مآثر وعرضت له من مفاخر وضمته من أخبار تعزز مكانهم وتبعث فيهم أسباب الوفاء لكل يوم من الأيام التي وقف عندها» . وقد افتتحها الشاعر على عادة الفرسان بذكر الاقداح ليس من باب الاستئناس ولكن من باب الانتشاء بما يثيره ذكرها وهو تقليد التزموا به عند الحديث عن الفخر ولعل الأوصاف التي أضفاها عليها في الأبيات التي تلت المطلع تؤكد هذه الحقيقة بعد أن يصبح البخيل مُهيناً لأمواله وأن الموت حالة مقدرة وآجال الناس لها أمد . وتستمر القصيدة على هذا المنحى وهي تمهد للغرض الذي يقصده الشاعر في خطابه لعمرو بن المنذر المكنى بأبي هند وهو يتهدده بقوله :



انظرنا . بمعنى انتظرنا وعندها ستعلم من نحن . وتبدأ سلسلة المفاخر التي وجدت في كل صفة منها صحيحة من صيحات قومه ، فالأعلام يوردها بيضاً للتعبير عن المعنى في حالة البياض للدلالة على حالتها الأولى . اللون الأحمر الذي اقترن بالدم فكانت الصورة معبرة وذات دلالة ووجد في اللون الأبيض وجهاً للمفاخر وهي ما اعتادوا على ذكره لعلوها وامتناعها ، فالأيام بيضاء لهم ولكنها طوال على أعدائهم لشدتها وقسوتها ، ثم عاود وهو يذكر المقصود في حديثه بعد أن ترك الخيل عاكفة مقيمة عليه . وبعد أن يستمر الشاعر في ذكر أيام قومه يؤكد أن القبائل تعلم منزلتهم وتعرف أقدارهم إذا ضربت القباب فهم أعزة وهم ليسوا بحاجة إلى أن يفخروا فهم المطيعون إذا قدروا ، والمهلكون إذا حاول أحد أن يغير عليهم . وهم المانعون لما أرادوا أن يمنعوه من حمى أو شرف وهم النازلون بأي أرض إذا شاءوا ولا تمتنع عليهم لما امتلكوه من قوة فإذا كرهوا شيئاً تركوه ولم تستطع قوة أن تجبرهم عليه ، وإذا رضوا أخذوه ولم يحل بينهم وبينه أحد لعزهم وارتفاع شأنهم . وهم المانعون إذا أطيعوا والعارمون إذا عصوا . إنها صورة الاعتزاز الكبيرة التي حاول أن يختمها الشاعر بالبيتين الأخيرين وكان ضمير الجماعة (نا) نغم القصيدة المتردد قوةً يستمد منها صوت العزيمة .

وتماسكاً تبني ظله وحدة القبيلة وقدرة تشدُّ المؤمنين بقوة الأمة إلى كل قيمة خيرة وفعل نقيٍّ ومبادئ أصيلة . أما الوزن الشعري فقد كان موافقاً لهذه المفاخر التي توالى ترديدها في أبياته .



عنتره بن شداد

عنتره عربي من جهة الأب فهو من بني عبس أبناء عمّ بني ذبيان وخصومهم في وقت واحد ، نشأ شديداً بطلاً شجاعاً ، كريم النفس كثير الوفاء ، وأحبّ عنتره منذ صغره عبلة ابنة عمّه مالك ثم طمّح أن يتزوج بها ، ولكن عمّه كان كثير التعنت فلم يرض أن يزوّج ابنته بعد أسود وأدرك آل عبس بأس ابنهم وشجاعته فأحبوا أن يستغلّوها في حرب أعدائهم وخصومهم فكانوا يحرضونه دائماً على خوض المعارك ويمنّونه مقابل ذلك أن يزوجه بعبلة فاذا انجلمت المعركة وادرك العبسيون تأرهم أو نالوا مآربهم حرموا عنتره من الغنيمه ونكثوا عهدهم إليه بزواج عبلة .

وعمّر عنتره طويلاً ، وكانت له أيام مشهورات في حرب داحس والغبراء ، وبعد بضع سنوات خاض العبسيون معركة مع بني طيئ سقط فيها عنتره قتيلاً عام (٨ ق هـ - ٤٦١ م) ، ولعلّ عنتره مات غزياً ، فهو لم يتزوج عبلة .

اشتهر عنتره بفنين من فنون الشعر (الغزل ، والحماسة) . أما غزله فعفيف حلو في بعض الأحيان ، خشن في بعضها الآخر ، وعنتره لا يجيد تحديث المحبوبة لأنه حاول أن يجتذبها بذكر وقائعه امامها وبتخويفها من عواقب ضربه وطعنه على أهلها ، واشتهر عنتره بالحماسة خاصة ، وحماسته قسمان ، أولهما حوادثه هو وهي حوادث مفردة قتل فيها أعداءه ، وثانيهما هجومه في قومه بني عبس على الأعداء .

ويبدو من مراجعة قصائد عنتره في الحماسة أنه يتناول فيها جميع أبواب الشجاعة والقتل وصور القوة والبطش ، ولا شك في أنّ الرواة قد أضافوا إلى عنتره اقوالاً كثيرة . وكان عنتره يقول البيت والبيتين فقط ثم كانت المعلقة أول قصيدة قالها .

(للحفظ : ٨ أبيات)

أثني عليّ بما علّمت فيّ أني
سمحٌ مُخالطتي إذا لم أُظلم
وإذا ظلمتُ فإنّ ظلمي باسل
مُرٌّ مذاقته كطعمِ العلقم^(١)
وإذا صحوتُ فما أقصرُ عن ندى
وكما علّمتِ شمائي وتكرمي^(٢)
هلا سألتِ الخيل يا ابنة مالك
إن كنتِ جاهلةً بما لم تعلمي
يُخبرك من شهد الوقعة أنني
أغشى الوغى وأعف عند المغنم^(٣)
ولقد ذكرتِك والرماح نواهل
منيّ وبيضُ الهند تقطر من دمي
فوددتُ تقبيل السُيوف لأنها
لمعت كبارقِ ثغرك المتبسم
ومدججٍ كره الكماة نزاله
لا مُعين هرباً ولا مُستسلم^(٤)

جَادَتْ يَدَايَ لَهُ بِعَاجِلٍ طَعْنَةً
بُمَثَّقِ صَدَقِ الْكُعُوبِ مُقَوِّمٍ
فَشَكَّتْ بِالرَّمْحِ الْأَصَمِ ثِيَابَهُ
لَيْسَ الْكَرِيمُ عَلَى الْقَنَا بِمُحَرَّمٍ



اللغة

- ١- العلقم : نبات الحنظل
- ٢- شمائي : طبائعي واخلاقي .
- ٣- أغشى الوغى : أدخل الحرب .
- أعفّ عند المغنم : لا أطمع بغنائم المعركة .
- ٤- مُدَجِّج : الذي توارى بالسلاح .



التعليق النقدي

أبيات عنتره - المختارة من مطولته - تُفصح عن مُثلٍ رائعة للفارس المقاتل والحب العاشق في الوقت ذاته ، وهاتان الخلتان اشتهر بهما عنتره بطلاً ، ملكت عبلة فؤاده ففي حوارهِ مع عبلة يطلب منها أن تمتدحه بما عرفتته عنه من سماحة ودمائة خلق ورفض للظلم ، غير أنه إذا ظلم فظلمه كريبه كطعم الحنظل ، وتمتزوج الفروسية بالكرم وهي من أخلاق الفرسان .

ويعود يحث ابنة عمه لتسأل الخيل - ويريد فرسانها - عن بطولته ، ولربما هي تجهل ذلك ، وان الذين شهدوا المعركة سيخبرونها حقيقة بطولته وعفته .

وكيف تعرض لبطل قد لبس من السلاح والدروع ما غطى بها جسمه وتحاشاه الأبطال ولكن مهارة عنتره وشجاعته عاجلته بطعنه رمح أنفذهها إلى قلبه ، ولا ضير في ذلك فالأبطال الكرام لا يُحرّم قتلهم في ساحة الحرب ليصبحوا بعد ذلك طعاماً للسباع. وهذا البطل قريب عهد بالمكانة الرفيعة قبل قتله ، ذو بطولة يفخر بها عنتره قاهر الأبطال ، فهذا الفارس لا مثيل له في مكانته وشجاعته وعلى الرغم من ذلك تعرّض له عنتره وقتله .

وعلى الرغم من اشتداد المعركة وما أصابه من طعن وجراح إذا بصورة الحبيبة تلوح له وإذا بلمعان السيوف يذكره بغم ابنة عمه فكاد يلثمها لأنها مشرقة كإشراقه ثغر ابنة عمه ، والأبيات سهلة التراكيب قوية السبك ، فأكثر ألفاظها مفهومة ولا يعني هذا أنّ المفردات التي قد نجد صعوبةً في فهمها ، يعني أنها غريبة لأنها هي ألفاظ عصر الشاعر ، وهي مفردات حياته ، وقد صورت بدقة وصدق أحاسيسه ومشاعره وأخلاقه فارساً مقاتلاً ، وجواداً سمحاً وعاشقاً عُذرياً .



السموأل بن عادياء

السموأل بن غريص بن عادياء: شاعر جاهلي توفي ٥٦٠م يُضرب به المثل في الوفاء لأن الشاعر امرأ القيس قد أودعه بعض الدروع وطلب منه أعداؤه هذه الأمانة فلم يسلمها . وظفروا بابنه ، فهددوه فلم يخن الأمانة ، بعد أن قتلوا ولده أمامه
يقول الشاعر في الأخلاق والقيم الاجتماعية :

(للحفظ : ٨ أبيات)

إذا المرء لم يدنس من اللؤم عِرضه	فكلُّ رداءٍ يرتديه جميلٌ ^(١)
وإن هولمٍ يحمل على النفسِ ضيمها	فليس إلى حُسنِ الثناءِ سبيلٌ ^(٢)
تعيرنا أنا قليلٌ عديدا	فقلتُ لها إنَّ الكرامَ قليلٌ
وما قلَّ من كانت بقاياهُ مثلنا	شبابٌ تسامى للعلی وكهولٌ
وما ضرنا أنا قليلٌ وجارنا	عزيزٌ وجارُ الأكثرين ذليلٌ
وإننا لقومٌ لا نرى القتلَ سبَّةً	إذا ما رآته عامراً وسلولٌ ^(٣)
صفونا فلم نكدَرُ وأخلصَ سرُّنا	إنَّنا أطابتَ حملنا وفحولٌ
وننكرُ إن شئنا على الناسِ قولهم	ولاينكرون القولَ حين نقولُ
إذا سيِّدٌ منا خلا قام سيِّدٌ	قؤولٌ لما قال الكرامُ فعولٌ ^(٤)



ولا ذمنا في النازلين نزيل^(٥)
فليس سواءً عالمٌ وجَهولٌ

وما أخدمت نارنا دون طارقٍ
سلي إن جهلت الناس عنا وعنهم



اللغة

- ١- يدنس :- يلوث ويلطخ .
- اللؤم :- اسم جامع للخصال المذمومة .
- ٢- الضيم :- تحمل الشدائد .
- الثناء :- الشكر والحمد .
- ٣- السُّبة :- العار .
- عامر وسلول :- قبيلتان عربيتان .
- ٤- خلا :- مضى .
- ٥- طارق :- الضيف الذي يطرق الباب ليلاً .



التعليق النقدي

القصيدة في الحماسة والفخر والتأكيد على القيم الأخلاقية ، إذ يبدأ الشاعر
قصيدته بأبيات الحكمة والدعوة إلى الأخلاق الحميدة .
مع تأكيده على الصبر في تحمل المكاره من أجل اكتساب ثناء الآخرين .



ثم ينتقل إلى الفخر ، والفخر عادة عربية يقوم الشاعر من خلالها بالدفاع عن القبيلة . فينزهها من المعايب والمساوى ، وصفاء أنسابها وأعمالها ، مفتخرة بأعمالها الحسنة ، حتى إنها لكثرة كرمها تديم إيقاد النار الرمز الدال على الضيافة لا يطفئونها في وجه طارق ليل من الضيوف ، فيثني عليهم كل زائر ، لذا كانت خاتمة القصيدة سؤال الشاعر الموجه إلى فتاة دعاها للسؤال عن حالهم ومنزلتهم الاجتماعية وما هم عليه من طبائع لا تمل الضيف ولا تعرف البخل ، لذا يؤكد الشاعر التفاوت بين العارف والجاهل .

٢ - النشر

تؤكد المصادر الأدبية التي وصلت إلينا أن النشر قبل الإسلام لم يجد العناية التي وجدها الشعر لأسباب كثيرة ، منها ما يتعلق بالوزن والقافية التي جعلت الشعر أحفظ من الضياع . ومنها اهتمام العرب بالشعر ، واستعمالهم اللغوي لكثير من الألفا والعبارات التي تشوقهم إلى مراجعة الشعر وترديده والاستمتاع بروايته وتضمن الشعر للثقافات القديمة والاسترسال في ذكر القصص والأساطير التي لم تجد مجالها في النشر ، ومع أن الاهتمام انصرف إلى الشعر بسبب هذه العوامل فإن النشر قد أخذ طريقه إلى ذاكرة الرواة فحفظوا جانباً قيماً من أمثال العرب وخطبهم ومناظراتهم وأسجاعهم وأخبارهم وأيامهم وعبر العرب بالنشر عن شعورهم وفكرهم ووجودهم .

وما تحسّسوه من أحوال ، واحتاجوا إليه من مواقف ، وإنّ امتداده يصل إلى

فترات قديمة تمثلت في :

١ - الأمثال .

٢ - الخطب .

٣ - الوصايا .

٤ - الأخبار والحكايات .

أ- الأمثال

للحفظ (٥) أمثال

للعرب في عصر ما قبل الإسلام مجموعة كبيرة من الأقوال التي ذهبت أمثالاً لاقتربانها بحادثة مهمة في حياتهم ، وتصويرها تجربة معينة ذات مدى يكشف الشيء الكثير عن أخلاق العرب وأحوالهم النفسية والاجتماعية . وكثيراً ما كان المثل يتمخض عن قصة أو أسطورة لها دلالة كبيرة في نشأة هذا المثل أو ذلك .

وقد تكون الأمثال نثراً أو شعراً ، الأمر الذي دفع الباحثين إلى جمعها وترتيبها وشرحها وسرد قصصها وأساطيرها ، لأنها من مصادر اللغة العربية الفصحى التي يُعتدُّ بها في المناقشات النحوية والبلاغية والأدبية ، وشواهد تمثل مرحلة نقاء وصفاء للغة العربية . وقد جمع (الميداني) طائفة كبيرة منها في كتابه «مجمع الأمثال» .



تتميز الأمثال من حيث الصياغة بأنها جمل قصيرة ، موجزة ، غزيرة في المعنى والدلالة التي تضرب لها والمناسبة التي تقال فيها . والأمثال في إيجازها وموسيقاها تمثل بلاغة العربي قبل الإسلام ومقدار ما وصل إليه من قوة التعبير ونلاحظ في بعض جوانبها اهتماماً بالتصوير الدقيق لحادثة ؛ لذلك قيل في أمثال ما قبل الإسلام بأنها نهاية البلاغة . وإليك طائفة من الأمثال :

- (١) إنَّ الهزيل إذا شبع مات - يُضرب لمن استغنى فتجبر .
- (٢) أولُ الشجرةِ النواة - يضرب للأمر الصغير يتولد منه الكبير .
- (٣) أمُّ الجبان لا تفرح ولا تحزن - يضرب لمن لا يأتي بخير ولا شر أينما توجه لجنبه .
- (٤) تجوع الحرة ولا تأكل بثدييها - يضرب في صيانة الرجل الكريم نفسه عن المكاسب الخسيسة .
- (٥) إن أخاك من آسأك - يضرب في الحث على مراعاة الأخوة والإخوان .
- (٦) استنوق الجمل - يضرب مثلاً لمن يظهر أن عنده رأياً ثم يتضح عجزه .
- (٧) برق لو كان له مطرٌ - يضرب لمن له حسن منظر ولا معنى وراءه .
- (٨) يخبط خبط عشواء - يضرب مثلاً في التعثر .
- (٩) حلب الدهر أشطره - يضرب مثلاً لمن عرك الدهر .
- (١٠) مقتل الرجل بين فكّيه - أي لسانه وما يتكلم به .



ب- الخطابة

لعل ما يؤخذ على صورة الخطابة قبل الإسلام هو بعد المسافة بين العصر الذي قيلت فيه وعصور تدوينها . و لكن الحقيقة الثابتة هي أن العصر شهد حضوراً لهذا الفن الأدبي بعد أن تهيأت له أسباب هذا الحضور من تفرس على أساليبها ، وحفظ لما ظل حاضراً في أذهان رواتها ، وحرية في التعبير عن دواخل النفس ومناظرات يتبارى فيها الخطباء الذين شهدت لهم الأندية الخطابية بالقدرة ، وعرفتهم محافل الاسواق بقوة الحججة وقد اتخذوا من مجالسهم في مضارب خيامهم ومن أسواقهم التي عرفتها الجزيرة العربية وساحات الأمراء الذين عرفوا وفادتهم ميادين لاطهار براعتهم وتفننهم في القول وقد أسعفتهم ملكاتهم البيانية التي فطروا عليها من السُنِّ فصيحة ، وبديهة حاضرة وقدره على الارتجال حتى أصبح الكلام الجيد عندهم أظهر وأكثر وهم عليه أقدر وله أقهر ، وكل واحد في نفسه أنطق ، ومكانه من البيان أرفع . وخطبائهم للكلام أوجد والكلام عليهم أسهل وهو عليهم أيسر من غير تكلف ولا قصد . لقد اسهمت هذه العوامل في ازدهار الخطابة وتنوع فنونها وتناولها أغراضاً مختلفة فاستعملت في تعزيز الثقة بالنفس والاحساس بضرورة الحفاظ على المآثر والمناقب ، والتأكيد على حق الدفاع عن النفس والارض وبعث أسباب المجابهة لكل محاولة غادرة أو هجمة ظالمة أو اعتداء أثيم والدعوة إلى اصلاح ذات البين وفض المنازعات ونبذ الاحقاد وتوحيد الصفوف والإشادة بكل ما يدعو إلى الحفاظ على المبادئ الكريمة والخصال الحميدة والفضائل الخيرة وكثيراً ما تكون الوفادة منبراً للوقوف بين يدي الأمراء للتحدث بلسان القوم وإظهار الرغبة في



توثيق عرى الاحلاف أو الرد على تساؤلات يجدون انفسهم ملزمين بالرد عليها أو دحض أسبابها وقد حرصت القبائل على اختيار رؤساء وفودها ممن عُرِفَ بمكانته وشهد له بالشهرة في مجال الخطابة والروعة في فنونها ليأخذوا دورهم في الأسواق فكانت ميداناً فسيحاً لامتحان قدراتهم إذ يقدم الخطباء النصح والارشاد والتوجيه والتذكير بالعمل الخالد والحفاظ على قيم الوفاء والشجاعة والبطولة .

قال قس بن ساعدة في خطبة له :

(للحفظ)

(أيها الناس اسمعوا وعوا . . إنَّ مَنْ عاشَ ماتَ ، ومَنْ ماتَ فاتَ ،
وكل ما هو آتٍ آتٍ . . ليل داج وسماء ذات أبراج . . مالي أرى الناس
يذهبون فلا يرجعون أرضوا بالمقام فقاموا ؟ أم تركوا هناك فناموا . .)

يدعو قس الناس إلى الانتباه لما سيقول ويدبروا معانيه جيداً فلكل انسان نهاية مهما طال حياته ، ومن مات فقد انتهى أمره ، ومن لم يميت اليوم سيموت غداً

ثم يتأمل الكون فيقول الحياة ليل مظلم يتعاقب مع نهار منير ، وسماء فيها ابراج متعددة ، ثم يتساءل عن مصير الناس بعد الموت التي ضمتهم القبور أرضوا بالمقام هناك ام ناموا ؟

ج - الوصايا

للوصايا في الأدب العربي نمطٌ خاص تميز بقصر عبارته ونضج فكرته وخلاصة تجربته . وقد شهد النثر العربي هذا الأدب وهو يصدر عن أب يوصي أبناءه أو حكيم يعظ أبناء قومه ، أو أمٌ تضع ابنتها على الطريق القويم . وقد تميزت بالإيجاز والبلاغة والتوجيه والدعوة إلى مكارم الأخلاق والتعاون بين الناس والأخذ بالمثل العليا والحض على الالتزام بكل ما يدعو إلى التماسك ، و تصدر في أغلب الأحيان عن رجل عُرف بحكمته ، واشتهر بثاقب بصيرته ، وهي تحكم ضوابط التعامل ، وتحدد المقاييس التي يراها هؤلاء المجربون صالحة للوفاء بسنة الحياة والاحسان إلى مجموع الناس والتبصير بعواقب الأمور والتذكير بالعمل الخالد والقول الحسن والتعامل الصادق . ويمكن إيجاز خصائصها بما يأتي :

- ١ - نقاء ألفاظها وقصر عباراتها وتماسك معانيها واستعمال السجع فيها .
- ٢ - وضوح التجربة الحياتية في معانيها وصدورها عن شخص تقدمت به السن أو حضرته الوفاة .
- ٣ - نزوعها إلى التوجيه والحث على مكارم الأخلاق والتأكيد على صلاح الفرد .
- ٤ - التوجيه فيها جماعي للمخاطبين من الأبناء والعشيرة .

وصية ذي الإصبع العَدَوَانِي لابنه أَسِيد :

لما احتُضِرَ ذُو الإِصْبَعِ دَعَا ابْنَهُ أَسِيداً فَقَالَ لَهُ :

(للحفظ : ٥ أسطر)

« يَا بَنِي إِنْ أَبَاكَ قَدْ فَنِي وَهُوَ حَيٌّ ، وَعَاشَ حَتَّى سَمِعَ العِيشَ وَإِنِّي
مَوْصِيكَ بِمَا إِنْ حَفِظْتَهُ بَلَّغْتَ فِي قَوْمِكَ مَا بَلَغْتَهُ ، فَاحْفَظْ عَنِي : -
أَلَنْ جَانِبِكَ لِقَوْمِكَ يَحْبُوكَ وَتَوَاضَعُ لَهُمْ يَرْفَعُوكَ ، وَأَبْسِطْ لَهُمْ وَجْهَكَ
يَطِيعُوكَ ، وَلَا تَسْتَأْثِرْ عَلَيْهِمْ بِشَيْءٍ يَسُودُوكَ ، وَأَكْرَمِ صِغَارَهُمْ كَمَا
تَكْرَمُ كِبَارَهُمْ يَكْرَمُكَ كِبَارُهُمْ ، وَيَكْبُرُ عَلَيَّ مَوَدَّتِكَ صِغَارَهُمْ ، وَاسْمَحْ
بِمَالِكَ ، وَاحْمِ حَرِيمِكَ ، وَأَعَزِّزْ جَارَكَ ، وَأَعْنِ مِنْ اسْتِعَانِ بِكَ ، وَأَكْرَمِ
صَيْفِكَ ، وَأَسْرِعِ النِّهْضَةَ فِي الصَّرِيخِ (١) ، فَإِنَّ لَكَ أَجْلاً لَا يَعْدُوكَ .
وَصُنْ وَجْهَكَ عَنْ مَسَاءَلَةِ أَحَدٍ شَيْئاً ، فَبِذَلِكَ يَتَمُّ سَوْدُكَ » .



د- الأخبار والحكايات

من الطبيعي أن تشغل الحكايات مجالاً واسعاً من حياة العرب ؛ لأن فيها استذكراً لأخبارهم واستعادة للعبرة التي حفل بها تاريخهم . وقد حفلت بها مجالس السمر وهي تروي أحداثاً يجدون فيها إحياء لقيم كريمة وتمجيداً للمآثر محمودة فتستهويهم أحداثها وترهف أسماعهم أخبارها ، ويتابعون كل خبر من أخبارها بشوق ولهفة . وكان الإخباريون - وهم من ينقلون الأخبار و أيام العرب - يفيضون على حكاياتهم من خيالهم ما يجعلها محببة إلى النفوس ، شائقة للسامعين تتداخل فيها الحكاية المؤثرة والخبر المحبب والقصة المثيرة ، أما أخبار الرجال والأيام والحروب وما سجل فيها من بطولات وجاء فيها من انتصارات فكانت لونا شائعا من ألوان القصص تبقى أخبارها عالقة في الذهن . ماثلة عند كل موضع استشهاد ، وبقيت هذه القصص تروى طوال القرن الأول الهجري حتى تناولها منهم لغويو القرن الثاني للهجرة ورواته فدونها تدويناً منظماً ، ثم توالى التأليف في هذا الباب والعناية به .

أسئلة المناقشة :

- ما هي أبرز أشكال النثر في عصر ما قبل الإسلام ؟
- بم تتميز الأمثال ؟
- للوصايا خصائص اذكرها .
- ما دور الاخباريين في نقل الاخبار والحكايات ؟

الحياة الأدبية في عصر صدر الإسلام مقدمة موجزة عن الأدب الإسلامي

يبتدىء هذا العصر ببعثة النبي محمد (ﷺ) ودعوته بمكة قومه من قريش والعرب عامة إلى الإسلام في سنة (٦١٠م) ويمتد ليشمل حياة الرسول في مكة والمدينة ، ثم عهد الخلفاء الراشدين من بعده ، حتى قيام الدولة الأموية في سنة (٤١ هـ) . ويسمى الشعراء الذين عاشوا في هذا العصر وأدركوا عصر ما قبل الإسلام بالمخضرمين . وقد ازدهر فن الكلام في هذا العصر ، وصار الأدب يمثل روح الإسلام ، ويعكس مدى تأثر الأدباء والشعراء بأسلوب القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف وبلاغتهما ، ولذلك تغير مجرى الحياة الأدبية عند العرب تغيراً واضحاً وقد تجلّى هذا التغير في الشعر والنثر من حيث السمات الفنية أو الموضوعات والاتجاهات .

١ - الشعر

عندما جاء الإسلام انقسم الشعراء إزاءه على فريقين ، فريق آمن به وأيده ودعا إليه في شعره ، وفريق وقف ضده لأسباب اقتصادية واجتماعية ودينية ، فشهر سلاحه الشعري لخاربته والتأليب عليه .

وقد كان يمثل الاتجاه الأول ثلاثة شعراء من الأنصار ، هم حسان بن ثابت وكعب ابن مالك وعبد الله بن رواحة ، ويمثل الاتجاه الثاني معظم شعراء قريش ، مثل عبد الله بن الزُّبيري وأبي سفيان بن الحارث وهبيرة بن أبي وهب ، ويؤازرهم في هذا



الموقف شعراء اليهود ، الذين نكثوا عهدهم لرسول الله بالموادعة وحسن الجوار
مثل كعب بن الأشرف والربيع بن أبي الحقيق ومَرَحِب اليهودي ومن شعراء
القبائل العربية أمية بن أبي الصلت الثقفي .

كان حسان بن ثابت وكعب بن مالك يعارضان شعراء قريش بمثل قولهم في
الوقائع والأيام والمآثر والأنساب ، ويعيرانهم بالمثالب ، وكان عبد الله بن رواحة
يعيرهم بالكفر وعبادة الأوثان ، فكان أشدَّ القول على المشركين قول حسان
وكعب وأهون القول عليهم قول ابن رواحة ، فلما أسلموا وفقهوا الدين كان
أشدَّ القول عليهم قول ابن رواحة ، لتغير المفاهيم وتبدل المثل لديهم . واحتدم
الصراع الكلامي بين هذين الاتجاهين ، وحين تم النصر للإسلام انحاز معظم شعراء
قريش والقبائل إلى الإسلام ، وانضموا إلى شعرائه يدعون له ويناضلون خصومه
وكان للشواعر من النساء أيضاً دور كبير في هذه المعارك الكلامية ، فشاركن
فيها بالبكاء على القتلى ، وبالتحريض على الانتقام ، وبإظهار التشفي بقتلى
الأعداء فمن الشواعر المسلمات ميمونة بنت عبد الله وصفية بنت عبد المطلب
ومن شواعر قريش هند بنت عتبة وقتيلة بنت الحارث . وربما ظهر بعض الدين
والضعف على قسم من الشعر الإسلامي ، لانصراف بعض الشعراء الكبار عنه
مثل ليلى بن ربيعة والنابغة الجعدي ، ولتضييق التعاليم الدينية لبعض أغراضه
القديمة وأساليبه بل ودعت إلى تركها كالهجاء ، ولأن الإسلام أبطل بعضاً من
البواعث التي كانت تهيج الشعراء وتلهب مشاعرهم .



لكنه أوجد أغراضاً وأساليب جديدة وخلق بواعث لا وجود لها قبل الإسلام .
أما موقف الإسلام من الشعر فقد كان واضحاً في قوله تعالى :

﴿ وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ ﴿٢٢٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ ﴿٢٢٧﴾ ﴾ (١)

إن القرآن الكريم لم يحارب الشعر لذاته في هذه الأحكام ، وإنما حارب المنهج الذي سار عليه بعض الشعراء ، منهج الأهواء والانفعالات التي لا ضابط لها ومنهج الأحلام المهومة التي تشغل أصحابها عن العمل لتحقيقها . وميز القرآن الكريم بين فريقين من الشعراء ، فريق استغل فنه فيما ينافي الدين وآدابه ، فهو الفريق المعيب الذي حاربه القرآن الكريم ، وفريق اتجه بشعره إلى العمل الخير والفكرة الجميلة وإلى نصره الحق حيث وجد ، وهو الفريق الذي استثناه من الوصف العام وأيده بكل ما يمكن من قوة مادية ومعنوية .

فالقضية إذن فيما يتناول الشعراء من المعاني والأغراض وليست في الشعر لذاته لأنه سلاح ذو حدين . لذلك قال الرسول (ﷺ) : (إنما الشعر كلام مؤلف ، فما وافق الحق منه فهو حسن ، وما لم يوافق الحق فلا خير فيه) . وقال الرسول (ﷺ) : (إنما الشعر كلام ، فمن الكلام خبيث وطيب) .

أما الحديث الذي تداوله الرواة على أنه تعبير عن موقف الرسول
(ﷺ) المعادي للشعر ونصه (لئن يمتلىء جوف أحدكم قيحاً ودماً خيراً
من أن يمتلىء شعراً) فانهم لم يرووه كاملاً ، إذ تكملته الصحيحة (هُجيتُ
به) وفي هذا الاستدراك يتّضح جلياً موقف الرسول (ﷺ) من الشعر ،
فهو لم ينه عنه بل نهى عن لون معين منه ، وعن موضوعات خاصة ، تقوم
على هجائه الذي يعني هجاء الدعوة ومحاربة الدين . ومن الطبيعي أن ينصرف
الشعراء عن شعر العصبية والمنافرات والهجاء الذي يؤذي النفوس ، ويثير
الضغائن بين أبناء الأمة الواحدة ، وعن الشعر الماجن الذي لا يتفق والفضائل ،
ويعين على نشر الرذائل فكل هذه الألوان من الشعر تخالف المبادئ التي
قرّر الإسلام أن تكون أسس مجتمعه الجديد . أما فيما عدا ذلك فإن الرسول
(ﷺ) أقر قول الشعر ، وطلب من الشعراء أن يردوا على قريش
وينصروه بألسنتهم كما نصره بأسلحتهم . وأثنى على شعراء الدعوة ، وقدر
دورهم في المعركة فقال : (هؤلاء النفر أشد على قريش من نضح النبل) .
وقال لحسان : (لشعرك أجزلُّ عند قريش من سبعين رجلاً مقاتلاً ، ولشعر
كعب بن مالك أشد على قريش من رشق السهام) .

كما أدرك أثر الشعر في نفس العربي ، ، فحثّ بعضهم على هجاء الكافرين
ليشفي صدور المسلمين ، ولئلا يبقى ذلك في قلوبهم فقال بعد هزيمة المشركين
يوم الأحزاب :



(إن المشركين لن يغزوكم بعد اليوم ، ولكنكم تغزونهم ، وتسمعون منهم أذى ويهجونكم ، فمن يحمي أعراض المسلمين ؟) فأجابته شعراء الإسلام الثلاثة وهم : حسان بن ثابت وكعب بن مالك وعبد الله بن رواحة لهذه الدعوة .
ويروى أن النبي (ﷺ) بنى لحسان بن ثابت في المسجد منبراً ينشد عليه الشعر .

وعندما تولى الخلفاء الراشدون الأمر من بعد الرسول (ﷺ) ساروا على نهجه في موقفهم من الشعر والشعراء ، لذلك نظم الشعراء في عصر الراشدين أكثر من قصيدة شعرية رائعة خلدوا فيها انتصارات العرب والمسلمين وبطولاتهم في الجهاد في سبيل الله ، فهذا النابغة الجعدي يخاطب امرأته حين كانت تلومه على كثرة خروجه للجهاد وغيابه في حروب تحرير بلاد فارس ، فيقول لها :

يا ابنة عمي كتابُ الله أخرجني
طوعاً وهل أمنعنَّ الله ما فعلاً
فإن رجعتُ فربُّ الناسِ يُرجعني
وإن لحقتُ بربي فابتغي بدلاً
ما كنتُ أعرجُ أو أعمى ليعذرني
أو ضارعاً من ضننى لم يستطع حِولاً (١)

(١) ضارعاً : نحيلاً . ضننى ، مرض ، حولاً ، تحويلاً من مكان إلى آخر .

كما برز عدد آخر من الشعراء ولجوا بأشعارهم ميادين جديدة استحدثتها حروب التحرير من الشرك وعبادة الأوثان . وقد تركت الأحداث التاريخية الكبرى في تلك المدة أثراً واضحاً في الشعر والشعراء مثل فتح مكة ، و عام الوفود و وفاة الرسول (ﷺ) وحروب الردة واستشهاد بعض الخلفاء الراشدين .

ويمكن إيجاز موضوعات الشعر الإسلامي ، بالدعوة إلى الإسلام ، وهجاء أعداء الدعوة ، ورتاء شهداء الإسلام ، أو من قُتل ظمناً من الخلفاء والصحابة والفخر بالدين الجديد ، وبالانتصارات على الخصوم ، وهو ما يسمى بشعر الحماسة لصلته الوثيقة بحروب الإسلام التحريرية ، والمدح لمن تجسدت فيه مبادئ الدين الجديد ولا يخلو الشعر من شذرات في الحكمة والوعظ والزهد .

أما خصائص الشعر في هذه المدة فيمكن أن نلمسها في تأثره بمعاني الإسلام وأفكاره النبيلة ، والعناية بجمال السبك ورقة الكلام ، وانتقاء الألفاظ السهلة الواضحة ، والاقتباس من القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف .



حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ

هو حَسَّانُ بْنُ ثَابِتِ بْنِ الْمُنْذِرِ بْنِ حِرَامِ الْأَنْصَارِيِّ ، مِنْ بَنِي النَّجَارِ مِنْ قَبِيلَةِ الْخَزْرَجِ ، يَكْنَى أَبُو الْوَلِيدِ وَأَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ وَأَبَا الْحَسَامِ . شَاعِرُ رَسُولِ اللَّهِ الْمَعْرُوفِ . أَسْلَمَ قَبِيلَ الْهَجْرَةَ ، وَذَادَ عَنِ الْإِسْلَامِ بِشَعْرِهِ مَعَ صَاحِبِيهِ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ وَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ رَوَاحَةَ . وَكَانَ حَسَّانُ أَشْعَرَ الثَّلَاثَةِ ، وَهُوَ كَثِيرُ الشَّعْرِ جَيِّدُهُ . وَقَدْ عُمِّرَ حَسَّانُ طَوِيلًا إِذْ عَاشَ مِئَةً وَعِشْرِينَ سَنَةً ، سَتِينَ قَبْلَ الْإِسْلَامِ وَسَتِينَ فِي الْإِسْلَامِ كَمَا ذَكَرْتَهُ كَتَبَ التَّأْرِيخَ . وَكَانَ الرَّسُولُ (ﷺ) يَسْمَعُ مِنْ حَسَّانَ ، وَيَقُولُ لَهُ : « ... أَجِبْ عَنِّي ، اللَّهُمَّ أَيَّدِهِ بِرُوحِ الْقُدُسِ » . أَيُّ جَبْرِيلَ . وَهُوَ شَاعِرُ كَثِيرٍ مَجْمُوعٍ فِي دِيْوَانِ طَبْعٍ مَشْرُوحًا مَرَاتٍ عَدِيدَةً .

قال يرد على الشاعر الزبيرقان بن بدر :

(للحفظ : ٨ أبيات)

إِنَّ الدَّوَائِبَ مِنْ فِهْرٍ وَإِخْوَتَهُمْ

قَدْ بَيَّنَّا سُنَّةً لِلنَّاسِ تَتَّبَعُ^(١)

يَرْضَى بِهَا كُلُّ مَنْ كَانَتْ سَرِيرَتُهُ

تَقْوَى الْإِلَهِ وَبِالْأَمْرِ الَّذِي شَرَعُوا^(٢)

قَوْمٌ إِذَا حَارَبُوا ضَرُّوا عَدُوَّهُمْ

أَوْ حَاوَلُوا النَّفْعَ فِي أَشْيَاعِهِمْ نَفَعُوا^(٣)

سَجِيَّةٌ تَلِكُ مِنْهُمْ غَيْرُ مُحَدَّثَةٍ

إِنِ الْخَلَائِقَ فَاعْلَمَ شَرَّهَا الْبِدْعُ (٤)

لَا يَرْقِعُ النَّاسُ مَا أَوْهَتْ أَكْفُهُمْ

عِنْدَ الدَّفَاعِ وَلَا يُوهُونَ مَا رَقَعُوا (٥)

إِنِ كَانَ فِي النَّاسِ سَبَّاقُونَ قَبْلَهُمْ

فَكُلُّ سَبِقٍ لِأَدْنَى سَبْقِهِمْ تَبَعٌ (٦)

وَلَا يَضُنُّونَ عَنِ جَارِ بِفَضْلِهِمْ

وَلَا يَدْنُسُهُمْ فِي مَطْمَعٍ طَبَعٌ (٧)

لَا يَجْهَلُونَ وَإِنْ حَاوَلَتْ جَهْلُهُمْ

فِي فَضْلِ أَحْلَامِهِمْ عَنِ ذَاكَ مُتَّسِعٌ (٨)

أَعْفَى ذَكَرَتْ فِي الْوَحْيِ عَفَّتُهُمْ

لَا يَطْمَعُونَ وَلَا يُرْدِيهِمُ الطَّمَعُ (٩)

كَمْ مِنْ مُوَالٍ لَهُمْ نَالُوا كِرَامَتَهُ

وَمِنْ عَدُوٍّ عَلَيْهِمْ جَاهَدُوا جَدْعُوا (١٠)

أَعْطُوا نَبِيَّ الْهُدَى وَالْبِرَّ طَاعَتَهُمْ

فَمَا وَنَى نَصْرَهُمْ عَنْهُ وَمَا نَزَعُوا (١١)

إِنِ قَالِ سِيرُوا أَجِدُّوا السَّيْرَ جُهْدَهُمْ

أَوْ قَالِ عُوْجُوا عَلَيْنَا سَاعَةً رَبَعُوا (١٢)





(١) الذوائب : جمع ذؤابة ، وذؤابة كل شيء : أعلاه . والمراد به هنا السادة .

- فِهر : الجد الأعلى لقريش .

- سُنَّة : طريقة ومنهج .

(٢) سريره : ما يستره من أفكار ومقاصد .

- شرعوا : رسموا واختطوا .

(٣) الأشياع : الأتباع والأنصار .

(٤) السَّجِيَّة : الغريزة .

- الخلائق : واحدها الخليفة ، وهي الطبيعة .

- البدع : واحدها البدعة ، وهي المستحدثة من الأخلاق .

(٥) أوهت : مزقت وشققت .

(٦) تبع : تابع .

(٧) يضمنون : يبخلون .

- طَبَع : عيب ووسخ .

(٨) أحلامهم : عقولهم .

(٩) الوحي : القرآن .

- لا يطمعون : لا يعملون ما يعيبهم ويدنسهم .



- يردّهم : يؤدّي بهم إلى الهلاك .
- (١٠) جاهد : مجتهد في عداوته .
- جدّعوا . قطعوا أنفه ، يريد أذّلّه .
- (١١) ونى : ضعف .
- نزعوا : انصرفوا عن طاعته .
- (١٢) عوجوا : ميلوا إلينا .
- ربعوا : وقفوا وأقاموا .

التعليق النقدي

وفد على رسول الله (ﷺ) وفد بني تميم عام الوفود بعد فتح مكة ، وقدموا شاعرهم الزبرقان بن بدر لينشد قصيدة يفخر فيها بقومه ، وكان حسان غائباً فبعث إليه رسول الله (ﷺ) . قال حسان : فلما جاءني رسوله فأخبرني أنه إنما دعاني لأجيب شاعر بني تميم خرجتُ إلى رسول الله (ﷺ) فلما انتهيت إليه وقام شاعر القوم ، فقال ما قال ، عرضتُ في قوله ، وقلت على نحو مما قال ، فلما فرغ الزبرقان من قوله ، قال رسول الله (ﷺ) حسان : قم يا حسان فأجب الرجل فيما قال . فقال حسان هذه القصيدة ، فلما فرغ حسان من قوله ، وخطيب المسلمين الذي ردّ على قوله خطيبهم أيضاً . قال رئيس وفد تميم ، وأبي إن هذا الرجل لمأتي له أي (لموفق) ، لخطيبه أخطب من خطيبنا ولشاعره أشعر من شاعرنا وأصواتهم أعلى من أصواتنا ، فلما فرغ القوم أسلموا .

وكان فخر حسن خليطاً بين المعاني القديمة التي أقرها الإسلام مما كان يفخر به العربي آنذاك . والمعاني الجديدة التي جاء بها الإسلام فقال : « إن السادة من قريش المهاجرين وإخوتهم الأنصار ، قد رسموا للناس طريقة ومنهجاً ، يسرون عليه ويتبعونه ، وهو منهج الإسلام الذي يرضى به . ويؤمن بشريعته كل من أسرَّ في قلبه وفكره تقوى الإله والخوف منه » .

ومن صفات هؤلاء المسلمين أنهم يضرون أعداءهم وينفعون أتباعهم في الحروب فهم أشداء على الكفار ، رحماء بينهم كما وصفهم القرآن الكريم وليست هذه الصفة مما اكتسبوه حديثاً بل هي صفة أصيلة فيهم لأن شر الأخلاق المستحدث الذي لا يملكه الإنسان أصلاً فقد تكون تلك الأخلاق وليدة الهوى والغرض .

وإذا وجد في غير المسلمين أحد يستطيع أن يفوز في السباق ، فإن هذا الفائز يكون بعد آخر فائز من المسلمين وليس من صفات المسلمين البخل على الحليف والصديق ، ولا ينالهم العيب والشين من شيء يطمعون فيه لأنهم بعيدون عن الطمع . إن عقولهم أسمى من أن تسف وتؤدي إلى الجهل ، وهو الحمق وسرعة الغضب ، لسعة عقولهم واتزانهم فلا يستطيع أحد ، مهما حاول أن يحملهم على شيء ليس من أخلاقهم وهم أعفَّة ، يكفون أنفسهم عما يعيب الانسان



ولا يفعلون ما يُدَنِّسُهُمْ ولا يطمعون طمعاً يؤدي بهم إلى الهلاك ، يحفظون لأصدقائهم كرامتهم ، ويدلون أعداءهم المعينين في عداوتهم . وهم مدعون لأمر قائدهم رسول الله (ﷺ) مضحون في طاعته والاستجابة له ، ولم ينصرفوا عن ذلك مطلقاً ، ومن مظاهر تلك الطاعة ومظاهر الاستجابة السريعة ، أنهم متى طلب منهم الرسول (ﷺ) السير بذلوا كل طاقتهم ومتى طلب منهم الميل إلى مكان ما ، سارعوا وأقاموا في ذلك المكان . كل ذلك كناية عن تمام الخضوع وكمال الاستسلام لقيادة الرسول العظيم (ﷺ) ، إيماناً منهم بحكمته ورجاحة عقله بما آتاه الله تعالى .



كعب بن زهير

هو كعب بن زهير بن أبي سُلمى الشاعر المشهور وكان لكعب أخ شقيق اسمه بُجَيْر . لما ظهر الإسلام تأخر بُجير وكعب عن الدخول فيه ولكن لما زاد انتشاره أسلم بُجير قبيل سنة (٧ هـ - ٦٢٨ م) ثم شهد فتح مكة ، أما كعب فإنه بقي على الشرك فعزم في سنة (٩ هـ - ٦٣٠ م) على أن يستأمن إلى الرسول (ﷺ) فجاء سراً إلى المدينة واستشفع بأبي بكر ثم سار على اثره حتى دخل المسجد فلما صليت صلاة الصبح أوصله ابو بكر إلى الرسول (ﷺ) فقال كعب للرسول : (يارسول الله رجل يبائعك على الإسلام) . وبسط يده وحسر عن وجهه وقال : (بأبي وأمي أنت يارسول الله أنا كعب بن زهير) . فأمنه الرسول فأنشده كعب قصيدة كان نظمها في مدحه ، التي مطلعها :

بانت سعادٌ فقلبي اليوم متبولٌ متيمٌ إثرها لم يفدَ مكبولٌ

وكانت وفاته سنة ٢٦ هـ / ٦٤٥ م .

كان كعب بن زهير شاعراً فحلاً مُكثرأً مجيداً ، منهم من قرنه وجعله مع لبيد والنابغة في طبقة واحدة ، وقال خلف الأحمر : (لولا أبيات لزهير أكبرها الناس لقلت إن كعباً أشعر منه) .

أما أغراض شعره فيدور معظمها على المدح والهجاء والفخر والحماسة ولم يكن كعب يرضى عن كل ما قال من الشعر . ولا غرو فهو على مذهب أبيه من التنقيح والتشذيب في صناعة الشعر .

قال كعب بن زهير مادحاً

(للحفظ : ٨ أبيات)

فقلتُ خلّوا سبيلي لا أبالكم

فكلُّ ما قدَّرَ الرَّحْمَنُ مفعولٌ

كلُّ ابنِ أنثى وإن طالَّت سلامته

يوماً على آلهِ حذباءَ محمولٌ (١)

نُبِّئتُ أن رسولَ اللهِ أوعدني

والعفو عند رسول الله مأمولٌ (٢)

مهلاً هداك الذي أعطاك نافلة الـ

قرآنٍ فيها مواعيطٌ وتفصيلٌ

لا تأخذني بأقوال الوشاة ولم

أُذنب ولو كثرت في الاقاويل (٣)

لقد أقومُ مقاماً لو يقومُ به

أرى وأسمع ما لو يسمعُ الفيلُ

لظلَّ يرعدُ إلا أن يكون له

من النبيِّ بإذن الله تنويلٌ (٤)

إنَّ الرسولَ لنورٌ يستضاء به

مُهَنَّدٌ من سيوف الله مسلولٌ (٥)



في عصبية من قريشٍ قال قائلهم

ببطن مكة لما أسلموا زولوا (٦)

زالوا فما زال أنكاسٌ ولا كُشفُ

عند اللقاء ولا ميلٌ معازيلُ (٧)

شُمُّ العرانيين أبطالٌ لبوسهم

من نسحِ داودَ في الهيجا سراويلُ (٨)

لا يفرحون إذا نالت رماحهم

قوماً وليسوا مجازيعاً إذا نيلوا

لا يوقعُ الطعنُ إلا في نحورهم

ومالهم عن حياضِ الموت تهليلُ (٩)



- ١ - حدباء : معوجة . يريد هنا (النعش) .
- ٢ - أوعدني : هددني بالقتل .
- ٣ - الوشاة : جمع واشٍ وهو النمام المفسد الكاذب .
- ٤ - يُرعدُ : (مبني للمجهول) يرتجف .
- تنويل : العطاء ، أي : العفو .
- ٥ - المهند : سيف مصنوع من حديد الهند .
- مسلول : السيف المُستل من غمده

- كُشِفُ : الذين ينهزمون عند أول اللقاء في الحرب .
- ميل : جمع (أميل) : الذي لا يثبت على ظهر جواده ، إشارة إلى الهرب .
- معازيل : لا سلاح لهم .
- ٨ - شمّ العرائن : كناية عن الشرف .
- من نسج داود : يلبسون الدروع المشهورة من صنع داود (ع) .
- الهيجا : الحرب .
- سراويل : طويلة .
- ٩ - تهليل : من هلل من عدوّه : جَبُن .

التعليق النقدي

هذه الأبيات مُختارة من قصيدة كعب المشهورة (بانث سعاد) أو عُرفت بـ (البردة) وبعد مقدمتها التي كانت غزلاً تقليدياً - جرياً على عادة الشعراء - انتقل إلى الموضوع الأساس وهو مدح رسول الله (ﷺ) رجاءً لعفوه .

يقول الشاعر: لقد حذّرهُ الكثيرون من الموت الذي ينتظره إن هو عزم لقاء النبي (ﷺ) ، ولكنه اندفع واثقاً بعفو نبي الرحمة والهدى (ﷺ) ، وإن ما قدره الله سبحانه لا رادّ له . وكلّ انسان صائر إلى الموت ، وإنّ الوعيد والتهديد من عند رسول الله (ﷺ) بلغني ، ولكنني آمل عفوه ويخاطب كعب رسول الله (ﷺ) ، خطاباً مباشراً ويرجوه التمهّل في الحكم عليه

إلى ذلك بما لرسول الله (ﷺ) من مكانة عند الله ، وبحق هذه المكانة الرفيعة التي منها نزول القرآن الكريم عليه ، هذا الكتاب الذي فُصل فيه كُل ما يهَمُّ الناس ويرجو كعب ألا يحاسب بأقوال الكاذبين الذين أكثروا من الكلام فيه وهو لا ذنب له .

ويظهر كعب جلالة الموقف وهيئته ، فلو أن الفيل - هذا الحيوان الضخم - كان مقام كعب لظل يرتجف خوفاً وهلعاً وهيبة من الرسول الأعظم ، إن لم يكن هناك أمل بالعتو . وفي تصوير بديع جمع فيه كعب صورتين رائعتين للرسول (ﷺ) فوصفه معنوياً بالنور هدايةً ، وبالسيف قوةً وعزاً في الله ، وهو قَرَشِيٌّ نسباً وهذا النسب شرف لكلِّ عربي ، ومعه الصحابة في مكة مُطيعون لأمر الله ورسوله .

وحين أذن الله بالهجرة كان المؤمنون مُلَبَّين طاعة لله ولرسوله ، وهجرتهم هذه لا تعني ضعفهم ولا تعني أنهم هاربون خوفاً أو لأنهم لا يُحسنون صنعة الحرب فهم الشرفاء الكرام الأبطال ، الذين يلبسون للحرب لبوسها ، فقد تحصَّنوا بالدروع المشهورة المنسوبة إلى النبي داود (عليه السلام) .

لقد أَلَفَ المسلمون الانتصار ، فإذا ما كسبوا معركة فلا يأخذهم الزهو والغرور وإذا ما خسروا معركة لا يجزعون ، والجراح لا تكون إلا في صدورهم كناية عن شجاعتهم وإقدامهم ، فهم لا يفرُّون من المعركة ، ولا يجبنون عند لقاء عدوِّهم .



إن القصيدة من روائع الشعر العربي وأشهره - وقد نهج نهجها الكثيرون
فنظموا قصائد بالوزن و القافية نفسها في مدح الرسول الكريم - وهي صادقة
المشاعر ، قوية السبك ، جميلة التعابير ، وقد توّسل الشاعر - بما يمتلكه من
شاعرية - إلى إيصال فكرته بالصور المعنوية والصور المادية ، مثل وصفه للرسول
(ﷺ) بالنور وبالسيف ، وتشبيهه لنفسه بالفيل المرتجف ، وكناية عن
شرف المهاجرين بـ (شُمَّ الأنوف) ، وعن الشجاعة بـ (ليسوا أنكاساً) .
ولفكرة القصيدة ، وللخيال الواسع الذي اتسع في صورها ، ولحسن التصوير
والتجسيم ولصدق الأحاسيس وبكلّ هذا وغيره امتلكت القصيدة خلودها .



أبو ذؤيب الهذلي

هو خويلد بن محرث ، من الشعراء المخضرمين (الذين عاشوا قبل الإسلام وأدركوا الإسلام) وكان شاعراً مشهوراً ذاع صيته في العهد الإسلامي ، وقد مات وهو عائد من الجهاد في عصر الخليفة عثمان بن عفان (رضي الله عنه) بطريق مصر . وكان له خمسة أبناء بلغوا سنَّ الرجولة ومنحوه العزة والمنعة بآسهم وشجاعتهم ، هلكوا جميعاً في عام واحد بمرض الطاعون فبكاهم في قصيدته هذه .

قال في رثاء أولاده :

(للدرس)

أمن المنون وريبه تتوجع	والدهر ليس بمعتبٍ من يجزع ^(١)
قالت أميمة ما لجسمك شاحباً	منذ ابتذلت ومثل مالك ينفع ^(٢)
أم ما لجنبك لا يلائم مضجعاً	إلا أقضَّ عليك ذاك المضجع ^(٣)
فأجبتها أما لجسمي أنه	أودى بني من البلاد فودعوا ^(٤)
أودى بني وأعقبوني غصةً	بعد الرقادِ وعبرةً لا تفلحُ
ولقد حرصتُ بأن أدافع عنهم	فإذا المنية أقبلت لا تدفع ^(٥)
وإذا المنية أنشبت أظفارها	ألفيت كل تميمه لا تنفع ^(٦)
وتجلدي للشامتين أريهم	أني لريب الدهر لا أتضعضع ^(٧)
والنفس راغبة إذا رغبتها	وإذا تردُّ إلى قليل تنقعُ
فلئن بهم فجع الزمان وريبه	إني بأهل مودتي لمفجعُ





اللغة

- ١ - المنون : الدهر .
- ريبه : صروف الدهر وأحداثه .
- معتب : مُنصف .
- ٢ - ابتذلت : امتُهنت .
- ٣ - أقض عليك : آلمك وأتعبك - والقضض : الحصى الصغار المتكسرة .
- ٤ - أودى : أهلك .
- ٥ - المنية : الموت .
- ٦ - تميمه : ما يعلق من حرز ونحوه . اعتقاداً بأنه يدفع الأذى .
- ٧ - أتضعضع : أضعف - أتزحزح .



التعليق النقدي

إنَّ الرثاء غرض قديم من أغراض الشعر العربي ، عرفه الشعراء لمواجهة حقيقة الموت وأبو ذؤيب الهذلي في قصيدته هذه يرثي أولاده بعد أن فقدهم في عام واحد واستهلها باستفهام ينكر فيه على نفسه أن يتوجع من الدهر وحوادثه عبر حوارية مع امرأة تسأله عن علة شحوب وجهه ، وأرقه فيجيبها أنها موت بنيه وما أعقب ذلك من غصة وبكاء ساعة يرقد الناس .. وفي أبياته ألم محض حتى إن بعضها صارت سائرة بين الناس لأنها تذكر الحقيقة الفاجعة في هذه الحياة (الموت) ومشاعر الناس إزاءها .

الخنساء

وهي تُماضر بنت عمرو بن الشريد من بني سليم ، والخنساء لقب لها وكان بنو سليم يسكنون ما بين شمالي نجد والحجاز وقد تزوجت رواحة بن عبد العزى السلمي فولدت له عبد الله ثم خلف عليها مرداس بن أبي عامر السلمي فولدت له زيدا ومعاوية وعمراً . قُتل أخوها معاوية وصخر قبل الإسلام ، كان معاوية شقيقها وكان صخر أخاها لأبيها طعنه أبو ثور الأسدي فاحتمل الطعنة عاماً ثم توفي متأثراً بها فحزنت عليهما حزناً شديداً وبكتهما دماً ورثتهما بأروع القصائد حتى عميت . ولما جاء الإسلام وفدت الخنساء على الرسول (ﷺ) مع قومها وأنشدته من شعرها . وكان للخنساء أربعة بنين فلما سار المسلمون لفتح العراق جمعت بنيتها الأربعة وحضتْهم على القتال ونصرة الإسلام فحاضوا معركة القادسية واستشهدوا جميعاً فلما جاءها النعي بمصرعهم لم تزد على أن قالت : « الحمد لله الذي شرفني بقتلهم وأرجو أن يجمعني بهم في مستقر رحمته » .

تعدُّ الخنساء من أعظم شواعر العرب ، وشعرها مقطعات كُله ، وهو فصيح اللفظ رقيق السبك رائق الديباجة ، وقد غلب على شعرها الفخر قليلاً والرتاء كثيراً لما رأينا من فجيعتها بأخويها خاصة ، ورثاؤها واضح المعاني رقيق الألفاظ صادق العاطفة بدوي المذهب لكثرة ما فيه من التلهف والمبالغة في ذكر مآثر أخويها .



قالت ترثي أخاها صخرًا :

(للهفظ ٨ أبيات)

يؤرقني التذكرُ حينَ أمسي
فيردعني عن الأحزانِ نُكسي (١)
على صخرٍ وأيُّ فتى كصخر
ليوم كربيهةٍ وطعانِ خلسٍ (٢)
ألا يا صخر لا أنساكَ حتى
أفارق مهجتي ويشق رمسي (٣)
يُذكرني طلوعُ الشَّمسِ صخرًا
واذكرُهُ بكلِّ غروبِ شمسٍ
فلولا كثرةُ الباكينِ حولي
على إخوانهم لقتلتُ نفسي
ولكن لا أزالُ أرى عَجولاً
وباكيةً تنوحُ ليومِ نحسٍ
هُما كلاتهما تبكي أخاها
عشية رُزئه أو غبَّ أمسٍ
وما يبكين مثل أخي ولكن
أُعزِّي النفسَ عنه بالتأسي
فقد ودَّعتُ يومَ فراقِ صخرٍ
أبي حسانَ لذاتي وأنسي
فيالهي عليه ولهفَ أمي
أيصبحُ في الضريحِ وفيه يُمسي





اللغة

١ - يُؤرقني : من الأرق : وهو القلق وذهاب النوم .

نُكسى : معاودة المرضى والضعف .

٢ - خَلَس الشيء : إذا استلبه .

٣- الرمس : القبر .

مهجتي (المهجة) : الروح



التعليق النقدي

حزنت الخنساء على أخويها - وبخاصة صخرًا - حزناً خلده شعرها ، وأنها اشتهرت بالمقطعات ، وهذه إحدى تلك القصائد التي تفصح عن عميق حزنها مُعِينَةً زمن اشتداد حزنها بـ (المساء) حيث ينفرد الإنسان بنفسه .

إن حزنها على صخر لكبير ، لأنه رجل لا مثيل له - عندها - وإنها لا تنساه حتى تفارق الحياة ، فهي تذكره عند طلوع كل صبح ، وعند كل مساء ، وقد تتأسى الشاعرة بما تراه من فقد للناس فتعتبر وتتصبر .

ولولا كثرة ذلك لعمدت إلى قتل نفسها حزناً على صخر ، ولكنها تتسلى حيث ترى الكثيرين يتوجعون ويبكون بكاءها . وتؤكد الشاعرة (ثانية) أنّ أخاها فاق رجال عصره ، وكان فقده أليماً لها ، فودّعت بتوديعه كل ملاذ الحياة ، وهي لا تكاد تصدق أنه استقر في القبر مسكناً . لقد جاءت الأبيات وهي تُفصح عن مشاعر وأحاسيس صادقة للخنساء في رثائها صخرًا بألفاظ مفهومة و أساليب وتراكيب سهلة . وهذه السمات هي سمات غرض الرثاء الذي اشتهرت به الخنساء أو كادت تختص به .



مالك بن الريب

من مازن تميم ، كان يقطع الطريق مع (شِطَاظ الضَّبِّي) الذي يضرب به المثل فيقال (أَلَصُّ من شِطَاظ) . حتى إنه حُبِسَ بِمِكَّةَ فِي سِرْقَةِ فَشْفَعَ فِيهِ شَمَّاسِي ابن عقبة المازني فاستنقذه ثم لَحِقَ بِسَعِيدِ بنِ عَثْمَانَ بنِ عَفَانَ ، فغزاه معه خراسان ، فلم يزل بها حتى مات . ولما حضرته الوفاة قال يرثي نفسه :

(للدرس)

أَلَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ أَبَيْتَ لَيْلَةً

بِجَنْبِ الْغَضَا أَزْجِي الْقِلَاصَ النَّوَاجِيَا (١)

فَلَيْتَ الْغَضَا لَمْ يَقْطَعْ الرَّكْبَ عَرْضَهُ

وَلَيْتَ الْغَضَا مَاشَى الرَّكَّابَ لِيَالِيَا (٢)

لَقَدْ كَانَ فِي أَهْلِ الْغَضَا لَوْ دَنَا الْغَضَا

مَزَارٌ وَلَكِنَّ الْغَضَا لَيْسَ دَانِيَا

أَلَمْ تَرْنِي بَعْتُ الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى

وَأَصْبَحْتُ فِي جَيْشِ ابْنِ عَفَانَ غَازِيَا

تَذَكَّرْتُ مَنْ يَبْكِي عَلَيَّ فَلَمْ أَجِدْ

سِوَى السَّيْفِ وَالرَّمْحِ الرَّدِينِيِّ بَاكِيَا (٣)

وَأَشْقَرَ مَحْبُوكٍ يَجُرُّ عِنَانَهُ

إِلَى الْمَاءِ لَمْ يَتْرُكْ لَهُ الْمَوْتَ سَاقِيَا (٤)



صَرِيحٌ عَلَى أَيْدِي الرِّجَالِ بِقَفْرَةٍ

يُسُوونَ لِحَدِي حَيْثُ حُمَّ قَضَائِيَا (٥)

ولما ترآءت عند (مرو) منيتي

وحلّ بها جسمي وحانت وفاتيَا (٦)

أقول لأصحابي ارفعوني فإنني

يقرُّ لعيني أن سهيلٌ بدا ليا

ويا صاحبي رحلي دنا الموت فانزلاً

برابيةٍ إنني مُقيمٌ لياليا

أقيما عليّ اليوم أو بعض ليلةٍ

ولا تُعجلاني قد تبين مايا

وخطًا بأطرافِ الأسنّةِ مضجعي

ورُدًّا علىّ عينيّ فضلَ ردائيَا (٧)

ولا تحسداني بارك الله فيكما

من الأرض ذات العرض أن توسعا ليا

خُداني فجرّاني ببردِي إليكما

فقد كنتُ قبلَ اليوم صعباً قياديا

وقد كنتُ عطافاً إذا الخيلُ أدبرت

سريعاً لدى الهيجاءِ إلى من دعانيا (٨)





اللغة

- (١) الغضا : شجر ينبت في الرمل ، أزجي : أذفع ، أسوق ، النواجي : النوق السريعة .
- (٢) الركاب : القافلة .
- (٣) الرمح الرديني : نسبة إلى امرأة اسمها (ردينة) كانت تصنع الرماح .
- (٤) أشقر محبوك : من الجياد الأصيلة ، لونه أشقر .
- (٥) قفرة : أرض خالية .
- (٦) حانت : دنت وقربت .
- (٧) الأسنّة : أطراف السلاح .
- (٨) الهيجاء : الحرب .



التعليق النقدي

قصيدة مالك بن الربيع هذه أشهر قصائده لما حفلت به من معانٍ وصورٍ وما قيل فيها من أقوال بأسلوب أدائها ومناسبتها وما حيك حول هذه الأخبار من الأساطير وما أثير في شأنها من أقوالٍ معبرة عن فروسيته التي حددت المعالم المشتركة في الاداء والحديث والشعر بعد أن أعطى للسلاح دوره وللتضحية قوتها ورسم مالك من خلال القصيدة الحقيقة التي تلازم الإنسان والمسألة التي لا يمكن أن تفارقه في كلِّ زمن . رسم ابن الربيع منذ أبياته الأولى نزوعه الإنساني .



وصور أرضه التي شبَّ فيها فارتسمت في ذهنه ملامح الغضا واتضح أبعاد تلك الشجيرات وهي تتضاءل في ناظريه بعد أن امتدت به المسيرة ، وتجلت شخوص أهله بعد أن أوشكت راحلته على الابتعاد عنهم . وتعالت في نفسه نوازع الحنين إليهم وبدأت هواجس الأهل والصحبة والأبناء تأخذ طريقها أعلاماً متحركة ونفوساً متلهفة تبدو عليها معالم الشوق .

إن الحالة النفسية التي كان يعانيتها وهو وجود بنفسه لم تبعده عن ذكريات الأرض التي ترعرع فوقها ، وشبَّ في ربوعها ووديانها ، وإنما كان يطلب من أصحابه أن يخطوا مضجعه بأطراف الأسنة ويردوا عليه بقية الرداء لينعم بالراحة بعد أن أدى واجبه وذكر أهله وأرضه والتقى معهم في عيون النجوم الثاقبة والسماء العريضة . إن صوت الشاعر هو صوت الحياة الكريمة التي عاشها هذا الفارس ، وهو صوت البطولة التي قدّم من أجلها أعز ما يملك ، وهو صوت الحنين إلى الأرض التي لم تغرب عن باله لحظة واحدة وقد ظلت هذه الأصوات تتعالى ، عبّر الزمن الطويل وترتفع على الرغم من الزمن لتسجل له حبه وتؤكد من خلالها وجوده الإنساني وأصالته العربية وتطلعه السامي من أجل هذه الأمة الكريمة التي ظل مالك بن الربيع من شوامخ روعتها وأعلام مجدها .



كان الشعر في العصر السابق للدعوة الإسلامية اللسان المعبر عن الحياة العربية في كل المجالات . وعندما جاء الإسلام ازدهر فن النشر إلى جانب الشعر ونهض بأعباء الفكر الجديد ، يُبشّر به ، ويدعو إليه ، ويحاجج خصومه ويجادلهم .

فدعا رسول الله (ﷺ) إلى الإسلام بالنشر ، وبه ثقّف أتباعه وبصّرهم بمبادئ الدعوة وناظر خصومهم وأفحمهم وانتصر عليهم ثم اتخذ منه وسيلة لإيصال الدعوة إلى خارج مكة ، بالكتابة حيناً ، وبالخطابة أحياناً أخرى ، وبعد قيام الدولة الإسلامية استعمل الرسول (ﷺ) النشر في كتبه وعهوده ووصاياه فكان النشر وسيلة له وللخلفاء والأمراء والولاة والقادة ، ومعروف أن أعلى درجات البلاغة في نشر صدر الإسلام كان خاصاً بالقرآن الكريم ثم الحديث النبوي الشريف .

وإنّ جميع الكتاب والخطباء ترسّم طريقتهم في البلاغة والفصاحة ، وخير ما يمثل نشر هذه المدة أدب الخطابة ، وأدب الرسائل ، فكان ازدهارهما كبيراً لما كانا يؤديان من مهمات متعددة ومتنوعة في ظل الدولة العربية الإسلامية الجديدة .



أ- الخطابة

لم تكن عناية العربي قبل الإسلام بالخطابة كبيرة ، لأنه كان يعتمد الشعر للتعبير عما يجول في خاطره ، ويدور في صدره ، فلم يصل إلينا منها إلا نماذج محدودة في عددها وموضوعاتها وآفاقها . وعندما جاء الإسلام تهيأ في ظله ما لم يتهيأ لأي فن من الفنون الأدبية الأخرى ، للأحوال التي طرأت على الحياة العربية من حيث اعتمادها المحاجة والمجادلة والشرح والإقناع والتبصير . كانت تسير على نهج القرآن الكريم في تثبيت العقيدة الدينية ومناقشة أفكار المشركين ، وكانت وسيلة رسول الله (ﷺ) وعُدته وهو يعرض نفسه على القبائل والأحياء العربية في مواسم الحج والأسواق والمناسبات التي تعقد في مكة وحولها . ومن البديهي أن تُرصَع كلماته بأي الذكر الحكيم ، وأن يتوسع في كل تلك الآيات سائراً على نهج القرآن الكريم في الدعوة إلى الدين الجديد بعد أن نزل قوله تعالى :

﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴾ (٢١٤)

(الشعراء / ٢١٤)

حتى صدع رسول الله (ﷺ) لهذا الأمر ، فارتقى جبل الصفا ثم نادى : يا صباحاه^(١) فاجتمع الناس عليه ، فهذر يخطب فيهم : (يا بني عبد المطلب ، يا بني فهر يا بني كعب ، رأيتم لو أخبرتكم أن خيلاً بسفح الجبل تريد أن تغير عليكم أكنتم مُصدّقِي ؟

(١) :ياصباحاه : عبارة تردد عند وقوع غارة أو أمر جسيم .



قالوا : نعم . ما جرّبنا عليك كذباً .

فقال : (إني نذير لكم بين يدي عذاب شديد) .

وما يلبث أن ينتقل إلى يثرب حتى تتطور تلك الخطابة من حيث أغراضها ومعانيها بما يناسب حياة المسلمين الجديدة ، فصارت وسيلة للتشريع وإرساء أسس الدولة الجديدة ، وسلاحاً ماضياً لشحذ همم المجاهدين . وأضحت فرضاً مكتوباً على المسلمين في صلاة الجمعة والعيدين ، فهي تسبق الصلاة يوم الجمعة وتعبها في العيدين . ولهذه الخطب سنن وتقاليد بيّنتها كتب الحديث النبوي واحتفظ بها الناس إلى هذه الأيام . ويتصدر خطباء هذا العصر الرسول العربي (ﷺ) الذي كان يخطب على هدي القرآن الكريم بعد أن تشرب بروحه واستوعب معانيه ، وقد أوتي من الفصاحة والبلاغة واللسن ما لم يؤت غيره من الناطقين بها .

فكان يخطب في المسلمين واعظاً أو مشرعاً وقد يجمع بين الوعظ والتشريع بأسلوب رائع ، ونسج بليغ ، فقد أوتي جوامع الكلم . وعرف إلى جانب رسول الله (ﷺ) كثير من الخطباء في تلك المرحلة ، كإخلفاء الراشدين الذين كانوا في الذروة من الفصاحة والتمكن من ناصية القول بعد رسول الله (ﷺ) ، فقد سرت في أساليبهم روح القرآن الكريم وبلاغته ، وتسرب إلى قلوبهم تأثير حديث رسول الله فخالط ذلك كلماتهم . واستمدوا منه خطبهم .

كما عرف هذا العصر خطباء آخرين ، ومنهم ثابت بن قيس بن الشماس الذي كان يسمى (خطيب النبي) وسعد بن الربيع وأبو عبيدة الجراح



وخالد بن سعيد بن العاص . وأسهمت المرأة العربية بدور فاعل في خطب هذا العصر فبرزت خطيبات بارعات منهن أم المؤمنين عائشة (رضي الله عنها) والسيدة فاطمة الزهراء (عليها السلام) وأم الخير بنت الحريش . وكان من خطباء المشركين عتبة بن ربيعة وضمضم بن عمرو الغفاري . وقد ضاعت أكثر خطب المشركين، كما ضاعت أشعارهم التي قيلت في تلك المرحلة . أما الأغراض التي تناولتها الخطابة في هذا العصر فهي الغرض الديني في الوعظ والإرشاد والدعوة إلى الإسلام ، وبيان الأحكام الدينية والغرض السياسي في شرح المسائل السياسية المتصلة بمنصب الخلافة والإمارة أو توضيح مناهج الدولة السياسية ، والعسكرية فيما يليق به القادة على جيوشهم للحث على الجهاد وعند الالتقاء بالأعداء ، وربما تطرق بعض الخطباء إلى الأمور الثقافية والاجتماعية . ويمكن أن نلخص الخصائص العامة التي كانت تميز الخطبة في صدر الإسلام بالآتي :

١ - شيوع الطابع الديني ، واستعانة الخطباء المسلمين بألفاظ القرآن الكريم وروحه حتى كانوا يعدون خلو الخطبة من القرآن الكريم ، ينزل بها عن الاجادة ويُقللُ قيمتها .

قال بعض خطباء هذا العصر : (خطبت خطبة ظننت أني لم أقصر فيها عن غاية ولم أدع لطاعن علة ، فمررت ببعض المجالس ، فسمعت شيخاً يقول : هذا الفتى أخطب العرب لو كان في خطبته شيء من القرآن الكريم) .



- وتُعرف الخطبة الخالية من القرآن بـ (الشوهاء) ، وربما جعل بعض الخطباء خطبته كُلِّها قرآناً ، كما فعل مصعب بن الزبير حين قدم إلى العراق .
- ٢- التخفيف من السجع (هو توافق الفاصلتين من النثر على حرف واحد في الآخر) الذي كان يثقل خطب ما قبل الاسلام ، ولاسيما ما يُدعى بسجع الكهّان ، الذي يدعو إلى ضرب من معرفة الغيب والتنبؤ بالمستقبل بألفاظ غريبة غامضة ذات جرس وإيحاء .
- ٣ - اختفاء المفاخرات والمنافرات القديمة التي حاول الإسلام إِماتها بالدعوة إلى الوحدة .
- ٤ - وحدة الفكر والموضوع التي تفتقر إليها خطب ما قبل الاسلام .
- ٥ - الإيجاز مع البلاغة ، فقد أمر الرسول (ﷺ) بتقصير خطب الجمعة وأوصى أبو بكر (رضي الله عنه) أحد قاداته : (إذا وعظت جندك فأوجز ، فإن كثير الكلام يُنسي بعضه بعضاً) .
- ٦ - السلاسة والوضوح مع الجزالة .
- ٧ - قصر الفقرات ، وتناسق الفواصل .
- ٨ - أما بناء الخطبة الفني فيبدأ عادة بحمد الله وتمجيده فالصلاة على الرسول وقلَّ أن نجد خطبة تخلو من هذه المقدمة ، حتى سميت الخطبة الخالية من هذه المقدمة بالبراء وتقترن بكلمة (أما بعد) ثم ينتقل الخطيب إلى موضوع الخطبة ويختتمها بالحمد والحمد والسلام .



من خُطبة حِجَّة الوداع *

(للحفظ ٧ أسطر)

قال الرسول (ﷺ) :

(الحمد لله نحمده ، ونستعينه ، ونستغفره ، ونتوب إليه ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ، ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضلَّ له ، ومن يضلل فلا هاديَّ له . وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله . أوصيكم ، عباد الله ، بتقوى الله ، وأحثكم على طاعته ، وأستفتح بالذي هو خيرٌ .

أما بعد : أيها الناس ، اسمعوا مني أبين لكم ، فإنني لا أدري ، لعلِّي لا ألقاكم بعد عامي هذا ، في موقفي هذا . أيها الناس إن دماءكم وأموالكم حرامٌ عليكم إلى أن تلقوا ربكم ، كحرمة يومكم هذا ، في شهركم هذا ، في بلدكم هذا . ألا هل بلغت ؟ اللهم اشهد . فمن كانت عنده أمانةٌ فليؤدها إلى الذي ائتمنه عليها وإن ربا جاهليّة موضوعٌ ، وإن أوّل رباً أبداً به ربا عمي العباس بن عبد المطلب وأنّ دماء الجاهليّة موضوعةٌ ، وإن أوّل دمٍ نبدأ به دمٌ عامر بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب ، وإنّ ماثر الجاهلية موضوعةٌ غير السّدانة والسّقاية . والعمد قودٌ ،

وشبهه العمد : ما قُتِلَ بالعصا والحجرِ وفيه مئةٌ بغيرِ ، فمن زاد فهو من أهلِ

الجاهليَّة .

أيُّها النَّاسُ ، إنَّ الشَّيْطَانَ قد يئسُ أن يُعبدَ في أرضِكُم هذه ، ولكنَّه قد

رضي أن يُطاعَ فيما سوى ذلك ممَّا تحتقرون من أعمالِكُم

أيُّها النَّاسُ ، إنَّما المؤمنون إخوة ، ولا يحلُّ لامرئٍ مسلمٍ مالُ أخيه إلا عن

طيب نفسٍ منه . ألا هل بلَّغتُ ؟ اللَّهُمَّ اشهد . فلا ترجعنَّ بعدي كُفَّاراً يضرب

بعضكُم رقابَ بعضٍ ، فإنِّي قد تركتُ فيكُم ما إن أخذتم به لن تضلُّوا بعده :

كتابِ اللَّهِ . ألا هل بلَّغتُ ؟ اللَّهُمَّ اشهد . أيُّها النَّاسُ ، إنَّ ربَّكُم واحدٌ وإن

أباكُم واحدٌ ، كلَّكُم لآدم ، وآدمٌ من ترابٍ ، إن أكرمكُم عندَ اللَّهِ أتقاكم وإنَّ اللَّهَ

عليمٌ خبيرٌ . وليس لعربيٍّ على أعجميٍّ فضلٌ إلا بالتقوى . ألا هل بلَّغتُ ؟ اللَّهُمَّ

اشهد . قالوا : نعم .

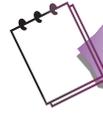
قال : فليبلغ الشاهدُ الغائب .





اللغة

- موضوع : باطل ساقط .
- المآثر : ما يرثه الخلف من السلف من الأفعال والأقوال .
- السّدانة : خدمة الكعبة .
- السقاية : ما كانت قريش تسقيه الحجاج من الزبيب المنبوذ في الماء .
- العمد : القتل عمداً .
- القود : أي قِصاص ، أي مَنْ قتل عمداً يُقتل .
- عن طيب نفس منه : بموافقته وبلا إكراه .



التعليق النقدي

ارتجل رسول الله (ﷺ) هذه الخطبة في موسم الحج ، وهي آخر خطبة ودّع فيها المسلمين في السنة العاشرة ، لذلك سميت خطبة الوداع . نهى الرسول (ﷺ) المسلمين في هذه الخطبة عن الظلم والعدوان والعادات والتقاليد القديمة المضرّة صاغها بأسلوب سهل ومعانٍ واضحة ، محتدياً فيها أسلوب القرآن الكريم وطريقة تصويره .

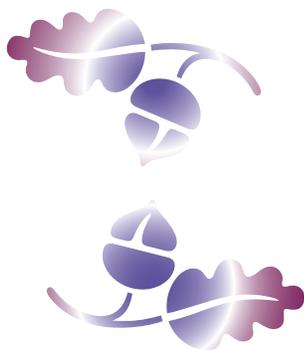
فابتدأ بأسلوب تقريريّ لئنبه الأذهان ويحرّكها للجواب وكان عن الشهر واليوم والبلد ، وهي ثلاثة معروفة شبه بها اثنين يُراد تقرير تحريمهما في نفوس السامعين ، وهما دماء المسلمين وأموالهم .

وقد جعل الرسول العيش الصالح بسماع أقواله ، وامتنثال أوامره والقبول بها ،
فقال :

(اسمعوا مني أبين لكم) . أي أبين لكم سبيل العيش الصالح الذي ينشده
كُلُّ إنسان .

ولكي تسود المحبة ويعمّ الوفاق بين أفراد المجتمع نهاهم عن الظلم بكلّ ألوانه
فالاستيلاء على مال الآخرين بلا رضاهم ظلم . وقتل النفس البريئة ظلم والتمتع
بامتيازات موروثه عن الآباء ظلم .

وحرّم عليهم الأخذ بالثأر ، لانه يشق الصف ويورث الشقاق . ونهاهم عن
الربا لأنه ظلم وريح بلا جهد ، مبتدئاً بأقرب الناس به . وحذّروهم من مكاييد
الشیطان منبهاً على وجوب التزام اليقظة والحذر من وسائل إفساده للأخوة بين
المسلمين وتفريق صفوفهم ، بعد أن عجز عن تكفيرهم وإشراكهم . وقد يكون
الشیطان من الجن أو الإنس . وجعل تلك الفرقة لوناً من الكفر ودعاهم إلى
تأدية الأمانات إلى أصحابها ، وأن يبلغ كلّ منهم الرسالة الإسلامية الخالدة إلى
الناس كافة .



وصية أبي بكر (رضي الله عنه) :

(للدرس)

أوصى الخليفة أبو بكر جيش أسامة بن زيد حين سيّره إلى الشام بعد وفاة رسول الله (ﷺ) فقال : (يا أيها الناس قفوا أوصيكم بعشر ، فاحفظوها عني لا تخونوا ولا تغلّوا، ولا تغدروا ، ولا تمثّلوا ، ولا تقتلوا طفلاً صغيراً ولا شيخاً كبيراً ولا امرأة ، ولا تقعروا نخلاً ، ولا تحرقوه ، ولا تقطعوا شجرةً مثمرةً ، ولا تذبحوا شاةً ولا بقرةً ولا بعيراً إلا لمأكلة ، وسوف تمرّون بأقوام فرّغوا أنفسهم في الصّوامع فدعوهم وما فرّغوا أنفسهم له . (١)



تغلّوا : تخونوا في الشيء .

تمثّلوا : تُنكّلوا .

تقعروا : تستأصلوا وتقطعوا .

الصوامع : واحدها صومعة : مكان رهبان النصارى .

(١) تاريخ الطبري : أبو جعفر محمد بن جرير الطبري / ج ٣ / ٢١٣ .

المعنى العام

هذه أول وصية للخليفة أبي بكر (رضي الله عنه) بعد توليه الخلافة
عَبَّرَ فيها عن روح الإسلام وتعاليمه السامية . فأوصى المسلمين ألا يتخلوا عن
المبادئ والقيم في غمرة انتصاراتهم على العدو . وطلب إليهم ألا يخونوا ولا
يغدروا ولا يُمثِّلوا بقتيل أي يقطعون أنفه أو أذنه أو شيئاً من أطرافه وفي الحديث
أن الرسول (ﷺ) نهى عن المثلة . كما نهاهم عن قتل الصغير والشيخ
الكبير والمرأة ، وعن إفساد الزرع واستحلال مال الآخرين إلا من أجل
الطعام .

وأن يحترموا الأديان و يتركوا من تفرَّغ للعبادة من الرهبان .

أسئلة المناقشة :

- ما هي الأغراض التي تناولتها الخطابة في عصر صدر الإسلام ؟
- عين الخصائص العامة التي تميز الخطبة في عصر صدر الإسلام
- ما الذي ميز أسلوب الرسول (ﷺ) في خطبته ؟
- ما ذا طلب ابو بكر (رضي الله عنه) من جيش اسامة ؟

ب- الكتابة

عرف العرب الكتابة قبل الإسلام ولكنها كانت محدودة الانتشار وفي أعداد قليلة منهم ، وبعد انتشار الإسلام بينهم بدأت الكتابة تنتشر في مختلف أوساط المجتمع ، لازدياد الحاجة إليها ، وللتطور الكبير الذي حدث في حياة العرب فاتسعت آفاقها . وقد نوه الإسلام بالكتابة وحثَّ عليها في كثير من الآيات والأحاديث والمواقف العملية .

ومن أكبر مظاهر الكتابة في هذا العصر (الرسائل) التي بدأت في عصر مبكر من حياة المسلمين ، فاتخذ الرسول (ﷺ) كتاباً متخصصين لكتابة الرسائل النبوية وواظب بعض الكتاب على الكتابة له مثل زيد بن ثابت ، وعبد الله بن الأرقم ، وكتب له بعضهم في مناسبات معينة مثل شُرْحَبِيل بن حسنة وحنظلة بن الربيع الكاتب .

كانت الرسائل وسيلة مهمة لاداء حاجات الرسول (ﷺ) السياسية والدينية إذ كتب الرسائل إلى رؤساء القبائل العربية أو الطوائف الدينية في الجزيرة وما جاورها ، يدعوهم إلى الإسلام ، وكتب ملوك الدول المجاورة منهم قيصر الروم وكسرى الفرس ومقوقس القبط في مصر والنجاشي ملك الحبشة ، كما اتخذها وسيلة لمعالجة الموضوعات التشريعية والتوجيهية في أمور حياة المسلمين المختلفة وفي عصر الراشدين ظلت الرسائل امتداداً للرسائل النبوية مع تطور يناسب ما استجد من أحداث ، سواء من حيث معانيها أم موضوعاتها ، إذ استجدت ألوان لم تُعرف من قبل ، مثل الرسائل الحربية والإخوانية والإدارية والسياسية .

وأبرز ما يميز رسائل هذا العصر :

- ١ - بُعدها عن التصنع والتزويق ، لأنها كانت تُملى إملاء .
 - ٢ - صدق العاطفة والإحساس .
 - ٣ - جمال الصورة والتألق في الخيال .
 - ٤ - اقتباس الآيات القرآنية الكريمة ، وتضمن الأحاديث النبوية الشريفة والأمثال والأشعار .
 - ٥ - سهولة الألفاظ وفصاحتها، والوضوح في المعنى ، والإيجاز غير المخل .
 - ٦ - خلوها من عبارات التفخيم .
 - ٧ - أما بناؤها ، فكانت تُستهل بالبسملة ، وأحياناً باسمك اللهم ، ويصرح باسم المرسل والمرسل إليه ، من غير تعظيم أو تفخيم فالسلام والتحميد والتشهد أحياناً ثم التخلُّص إلى الغرض الأصلي بـ (أما بعد) وتختتم بالسلام والدعاء .
- وأبرز كتاب هذا العصر بعد رسول الله (ﷺ) الخلفاء الراشدون ، والولاة ، والقادة ، منهم عمرو بن العاص ، وأبي عبيدة بن الجراح .
- و تعد نصوص القرآن الكريم أعلى مرتبة في مراتب الكتابة لذلك سعى كثير من الكتاب والشعراء إلى محاكاتها و الاقتباس منها ، و سنقف على بعض من نصوص القرآن الكريم .

نصوص من القرآن الكريم

قال تعالى :

﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ
عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا
وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ
آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾﴾

(آل عمران / ١٠٣)



اعتصموا : تمسكوا .

حبل الله : دينه ونهجه ، وقيل الجماعة .

فألَّفَ : فجمع ووحد .

شفا : طرفٌ وحافةٌ .

آياته : علاماته وعجائبه .



وحد الإسلام بين القبائل العربية ومنها الأوس والخزرج في يثرب .
فانقلبت العداوة بعد الإسلام إلى أخوة ومحبة ، وقد مرّ رجل من اليهود بقوم
من الأوس والخزرج بعد الإسلام، فسأه ما هم عليه من الاتفاق والألفة ،
فبعث رجلاً معه وأمره أن يجلس بينهم، ويذكر لهم ما كان من حروبهم يوم
(بُعث) (وهو من أيام الحرب بينهم قبل الإسلام) ففعل ، فلم يزل ذلك
دأبه حتى حميت نفوس القوم ، وغضب بعضهم على بعض، وثأروا ، ونادوا
بشعارهم وطلبوا أسلحتهم وتوعدوا إلى منطقة (الحرة) خارج المدينة ،
فبلغ رسول الله (ﷺ) فأتاهم، فجعل يسكنهم ويقول : (أبدعوى
الجاهلية وأنا بين أظهركم) . وتلا عليهم هذه الآية فندموا على ما كان منهم
، واصطلحوا وتعانقوا وألقوا السلاح.وقد دعا الله سبحانه وتعالى المسلمين
في هذه الآية إلى الألفة والحبّة ، وأن يتمسكوا بدينه وقرآنه ليتوحدوا.
قال الرسول (ﷺ) : إنّ هذا القرآن هو حبل الله ، ونهاهم عن
الفرقة لأن الفرقة هلكة والجماعة نجات . وذكرهم بإنعامه عليهم ، إذ كانوا أعداء
متخاصمين يقتل بعضهم بعضاً فجمع بالإسلام قلوبهم فصاروا بنعمته إخواناً في
الدين ، وكانوا على وشك السقوط في النار ، ليس بينهم وبينها قبل إسلامهم
إلا أن يموتوا كفاراً فأنقذهم بالايان . وهذا تمثيل يُراد به خروجهم من الكفر إلى
الايان . وقد ضرب الله لهم هذا المثل للتذكّر والرشاد .



قال تعالى :

﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا تَسْتَوِ الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾ ﴾

(فصلت / ٣٣-٣٥)



تستوي : تتماثل وتتساوى .

وليّ : صديق محب .

حميم : قريب .

وما يلقاها : وما يعطى دفع السيئة بالحسنة .

ذو حظ : ذو نصيب من الخيرات .



أي كلام أحسن من كلام الله سبحانه وتعالى ؟ ومن أحسن قولاً من الداعي إلى الله وطاعته ؟ والكلمة الطيبة وحدها لا تكفي إن لم تقترن بالعمل الصالح وبالاستسلام لخالق الكون وعبادته . ولا يهم من يدعو إلى الخير إلا يستجاب له ، أو أن يُرد عليه بسوء الأدب . إذ لا تتساوى الحسنة التي قالها مع السيئة التي قوبل بها ، فمتى عرف المسلم ذلك فسيقابل غضب المسيء بالصبر وجهله بالحلم وإساءته بالعفو . قال ابن عباس : « ادفع بالتي هي أحسن » أي ادفع بحلمك جهل من يجهل عليك . فيصير العدو الأحمق كالصديق القريب في محبته فما عوقب الأحمق بمثل السكوت عنه .

قال الشاعر :

وما شيءٌ أحبُّ إلى سفيهٍ إذا سبَّ الكريمَ من الجوابِ
متاركةُ السفيهِ بلا جوابٍ أشدُّ على السفيهِ من السبابِ

ولا ينال هذه الخصلة الكريمة إلا الذين يكظمون غيظهم ، ويحتملون الأذى بالصبر ، ممن لهم نصيب وافر من الحظ الموهوب الذي يمنحه الله من يحاول من عباده فيستحقه .

وهذه السماحة قاصرة على حالات الإساءة الشخصية ، لا حالات العدوان على العقيدة والأمة والوطن ، فعند ذلك يكون الدفع بالقوة والمقاومة بكل صورة حتى يرتعد المعتدون ، وتسلم الحقوق .



نصوص من الحديث النبوي الشريف

للحفظ

١ - النهي عن الغش

مر رسول الله (ﷺ) على صبرة طعام ، فأدخل يده فيها فنالت أصابعه بللاً فقال : ما هذا يا صاحب الطعام ؟ قال : أصابته السماء يا رسول الله ، قال : أفلا جعلته فوق الطعام كي يراه الناس ، من غش فليس مني .

(رواه مسلم)



اللغة

الصبرة : الكومة المجموعة من الطعام .

أصابته السماء : أصابه المطر .

ليس مني : ليس ممن اهتدى بهديي ، واقتدى بعلمي واتصف بأخلاقي .

المعنى العام

يضرب الرسول (ﷺ) في هذا الحديث مثلاً رائعاً باستعماله العبارة الموجزة البليغة (من غش فليس مني) من أجل بناء علاقات إنسانية سليمة ، ناهياً عن الغش والاحتتيال كونهما يعبران عن فساد ضمير . والإضرار بالآخرين ، وإضعاف الثقة بين أبناء المجتمع ، لذا فهو يوجه النفس البشرية إلى كبح جماح شهواتها المادية ، وتجنب الاستغلال والابتعاد عن التزييف والكسب غير المشروع .

٢ - الإسلام الصحيح

للحفظ

عن سفيان بن عبد الله الثقيفي قال :

قلتُ : (يا رسول الله ، قل لي في الإسلام قولاً لا أسأل عنه أحداً غيرك)

قال : (قل آمنتُ باللهِ ثم استقم) .

رواه مسلم



اللغة

في الإسلام : في تحديد حقيقته الشرعية .

عنه : عن الإسلام .

استقم : اسلك الطريق القويم الذي لا عوج فيه ولا انحراف ، لأن الاستقامة

مأخوذة من القيام وهو الاعتدال وعدم الاعوجاج .

المعنى العام

عندما سأل هذا الصحابي رسول الله (ﷺ) عن حقيقة الإسلام ، وأراد

منه جواباً يغنيه عن سؤال غيره مدى الحياة أجابه الرسول (ﷺ) بكلمة

موجزة جامعة : قل آمنتُ باللهِ ثم استقم . لأن الإيمان بالله أصل الدين وأساسه .

والاستقامة هي ما يتبع الايمان (أي الإقرار بالقلب واللسان) من طاعة الله

والعمل بأوامره ، والوقوف عند نواهيه .

وهي كما تكون في الأعمال تكون في الأخلاق والأحكام والآراء .

والجواب في جملته مقتبس من قوله تعالى :

﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا فَلَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ

(الاحقاف / ١٣)

يَحْزَنُونَ ﴿١٣﴾



رسالة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) إلى أبي موسى الأشعري *

(للحفظ ٥ أسطر ... إلى في عدلك)

كتب عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) إلى أبي موسى الأشعري رسالة في

القضاء حين ولاه قضاء البصرة ، جاء فيها :

(بسم الله الرحمن الرحيم . من عبد الله عمر بن الخطاب أمير المؤمنين إلى

عبد الله بن قيس ، سلامٌ عليك ، أما بعدُ :

فإنَّ القضاءَ فريضةٌ مُحكمةٌ ، وسنةٌ متَّبعةٌ . فافهم إذا أدلي (١) إليك فإنه لا

ينفعُ تكلمٌ بحقٍ لا نفاذَ له . آس (٢) بين النَّاسِ بوجهك ، وعدلك ، ومجلسك

حتَّى لا يطمع شريفٌ في حيفك (٣) ، ولا ييأس ضعيفٌ في عدلك .

البينة (٤) على من ادعى ، واليمينُ على من أنكر . والصُّلحُ جائزٌ بين المسلمين

إلَّا صلحاً أحلَّ حراماً ، أو حرَّم حلالاً . لا يمنعك قضاء قضيتهُ اليوم فراجعت

فيه عقلك وهُديتَ فيه لرشدك .

أن ترجعَ إلى الحقِّ ، فإنَّ الحقَّ قديمٌ ، ومراجعةُ الحقِّ خيرٌ من التماذي في الباطل

الفهمَ الفهمَ فيما تلجَح (٥) في صدرك مما ليس في كتابٍ ولا سنةٍ ثم اعرف

الأشباه والأمثالَ فقس الأمور عند ذلك .



واعمد إلى أقربها إلى الله ، وأشبهها بالحق . واجعل لمن ادعى حقاً غائباً أو بيّنةً أمدأ ينتهي إليه ، فإن أحضر بيّنته أخذت له بحقه وإلا استحلت عليه القضية فإنّه أنفى للشكّ وأجلى للعمى . المسلمون عدولٌ بعضهم على بعضٍ إلاّ مجلوداً في حدٍّ أو مجرباً عليه شهادة زورٍ ، أو ظنياً^(٦) في ولاءٍ أو نسبٍ ، فإنّ الله تولّى منكم السرائر . ودرأ^(٧) الحدودَ بالبيناتِ والايمانِ .

وإياك والغلق والضرجر^(٨) والتأذي بالخصوم والتنكر عند الخصومات ، فإنّ الحقّ في مواطن الحق ليُعظم اللهُ به الأجر ، ويُحسنُ الذخر .

فمن صحّت نيّته وأقبل على نفسه كفاه الله ما بينه وبين الناس ، ومن تخلف للناس بما يعلم الله أنه ليس من نفسه شأنه ، فما ظنك بثواب غير الله عزّ وجل في عاجل رزقه وخزائن رحمته . والسلام .



اللغة

- (١) أدلي : أدلى برأيه عبر عنه ، أو اتخذ حكماً في قضية
- (٢) آس : من المؤاساة : بمعنى المساواة ، أي : سوّ بين الناس .
- (٣) الحيف : الظلم .
- (٤) البينة : الحجة والدليل .
- (٥) تلجلج : تردّد .
- (٦) الظنين : المتهم .
- (٧) درأ : دفع .
- (٨) الغلق والضرجر : ضيق الصدر وقلة الصبر .



جعل خلفاء صدر الدولة العربية الإسلامية الحق والعدل نصب أعينهم فألزموا بهما أنفسهم ودعوا إليهما الولاية والقضاة . ورسالة عمر (رضي الله عنه) في القضاء واحدة من رسائل كثيرة خاطب بها الخلفاء ممثلهم في الإدارة والحكم والقضاء .

وقد وصف المبرد هذه الرسالة فقال : (جمع فيها جمل الأحكام ، واختصرها بأجود الكلام ، وجعل الناس يتخذونها بعده إماماً ، ولا يجد محقَّ عنها معدلاً ، ولا ظالم عنها محيصاً)^(١) .
(القضاء فريضة ..)

يريد أن ما يحكم به الحاكم نوعان : فرض محكم في كتاب الله ، وأحكام سنَّها رسول الله (ﷺ) .
(فافهم) .

اي عليك بفهم ما توصل إليك من الكلام الذي تحكم به بين الخصوم .
(فانه لا ينفع) .

يريد الحث على تنفيذ الحق إذا فهمه الحاكم ، ولا ينفع تكلمه به اذا لم يكن له قوة تنفذه ، فهو تحريض منه على العلم بالحق والقوة في تنفيذه .
(وآس بين الناس) .



إذا عدل الحاكم في هذا بين الخصمين فهو عنوان عدله في الحكم لكيلا يطمع الشريف ذو النفوذ في أن يكون الحكم له فيتقوى ويأس الضعيف من عدله فيضعف وتنكسر حجته .

(والصلح جائز ...) .

مأخوذ من حديث الرسول (ﷺ) : « الصلح جائز بين المسلمين ، إلا صلحاً حرم حلالاً أو أحلَّ حراماً ، والمسلمون على شروطهم ، إلا شرطاً حرم حلالاً أو أحلَّ حراماً » .

وقد ندب الإسلام إلى المصالحة بين المسلمين عند التنازع حتى في الدماء . فالصلح الجائز بين المسلمين هو الذي يُعتمد فيه رضا الله ورضا الخصمين .

(ولا يمنعنك) . يريد إذا اجتهدت في حكم ، ثم وقع لك أمر مرةً أخرى فلا يمنعنك الاجتهاد الأول من إعادته ، فإن الاجتهاد قد يُغيّر ولا يكون الاجتهاد الأول مانعاً من العمل بالثاني إذا ظهر أنه الحقّ . فإن الحقّ أولى بالاتباع

(الفهم الفهم ...) .

تدعو الرسالة إلى التزام العقل ، وتحكيم الفهم فيما لم يرد في حكمه نص من قرآن أو حديث ، ومعرفة أشباه لتلك الحادثة فيقيس عليها وهو ما يسمى بالقياس

(واجعل لمن ادعى) .



من العدل أن تعطي مهلة لمن ادعى فإن المدعي قد تكون حجته أو بينته غائبة ،
فلو عَجَّل عليه بالحكم لَبَطَلَ حَقُّه ، فإن سأل أحد أن يحضر فيه حجته أُجيب
إلى ذلك . (المسلمين عدول ...)

تقبل شهادة أي مسلم ، لأن المسلمين شهود عدول ، إلا مَنْ قام به مانع الشهادة
وهم : مَنْ جُرب عليه شهادة الزور ، أي الكذب ، فلا يوثق بشهادته لان شهادة
الزور من أفعال الكبائر . ومن جُلد في حدٍّ شرعي ، وفُسر هذا الحدُّ بالقذف .
ومن يُتهم بأن يجرَّ إلى نفسه نفعاً من المشهود له .
(فإن الله تولى ...) .

مَنْ ظهرت منه علانية خير ، قُبِلت شهادته ، ووكلت كلُّها إلى الله . والعقوبة
تُدفع عن المتهم إلا إذا قامت البيِّنات والأدلة والشواهد والأيمان (جمع يمين) في
بعض الحالات . (وإياك والغلق ...) . ويحذره من التأذي بالخصوم في أثناء
المرافعة أو التنكر لأنَّ الله سوف يضاعف له الأجر لو اضطبر عليهم بالعدل بينهم .
(فمن صحَّت نيَّتُهُ) .

إذا أخلص الإنسان في نيته عند الحكم ، فإنَّ الله يحميه من الناس فلا يستطيعون
إيذائه، وإن حاول مجاملتهم فلم يلتزم بالحقِّ فإنَّ الله سوف يفضحه أمام
النَّاس .



من رسالة الإمام علي (عليه السلام) إلى مالك بن الأشتر

(لحفظ خمسة أسطر من : وأشعر قلبك ، إلى ... وابتلاك بهم)

وأشعر قلبك الرحمة للرعية ، والمحبة لهم ، واللطف بهم . ولا تكونن عليهم سبعا ضارياً^(١) تغتنم أكلهم ، فإنهم صنفان إما أخ لك في الدين وإما نظير لك في الخلق يفرط^(٢) منهم الزل وتعرض لهم العلل ، ويؤتى على أيديهم في العمد والخطأ .

فأعطهم من عفوك وصفحك ، مثل الذي تحب أن يعطيك الله من عفوه وصفحته ، فإنك فوقهم ، ووالي الأمر عليك ، والله فوق من ولاك ، وقد استكفك أمرهم وابتلاك^(٣) بهم ، ولا تنصب نفسك لحرب الله فإنه لا يد لك بنقمته ولا غنى بك عن عفوه ورحمته ، ولا تندمن على عفوه ، ولا تبجن^(٤) بعقوبة ولا تسرعن إلى بادرة وجدت منها مندوحة^(٥) ، ولا تقولن إني مؤمر أمر فأطاع ، فإن ذلك إدغال^(٦) في القلب ، ومنهكة للدين ، وتقرب من الغير^(٧) ، وإذا أحدث لك ما أنت فيه من سلطانك أبهة أو مخيلة فانظر إلى عظم ملك الله فوقك وقدرته منك على مالا تقدر عليه من نفسك ، ذلك يطامن^(٨) إليك من طماحك^(٩) ، ويكف عنك من غربك^(١٠) ، ويفيء^(١١) إليك بما عزب^(١٢) عنك من عقلك .





اللغة

- ١- ضارياً : مفترساً .
- ٢- يفرط : يعجل ويسرع .
- ٣- ابتلاك : اختبرك وجربك .
- ٤- تبجحن : تظهرن الفرح .
- ٥- مندوحة : متسع .
- ٦- إدغال : إفساد .
- ٧- الغير : حادثات الدهر يتبدل الدول .
- ٨- يطامن : يخفف .
- ٩- طماح : شرٌّ .
- ١٠- غربك : حد سيفك .
- ١١- يفيء : يرجع .
- ١٢- عزب : بَعَدَ .

المعنى العام

كتب الإمام علي (عليه السلام) هذه الوصية إلى عامله مالك بن الأشتر لما ولّاه على مصر وهي أطول رسالة كتبها . جاء فيها : (وأشعر قلبك ...)
اجعل الرحمة لمن تبعك والمحبة وحسن المعاملة لمن في رعيته كالشعار لقلبك .
(ولا تكونن عليهم ...) .
ولا تصيرنّ كالأسد المولع بالفريسة ، فتنظر استغلال أفراد الرعية ، (فإنهم صنفان) .
فالناس نوعان ، إما أخوك في الدين أو أخوك في الإنسانية ، وكلُّ إنسان عرضة للخطأ والزلل عمداً أو سهواً .
(فأعظهم من عفوك ...) .

فمن واجب المسؤول والحاكم أن يعفو عنهم ، عن زلاتهم كما يحب أن يعفو الله عن زلاته ؛ لأن الله فوق الوالي وفوق من عَيَّنَ الوالي ، وضع كلاً منهم في هذه المسؤولية ليخبرهم ويرى ماذا هم فاعلون .

(ولا تندمنَّ ...) .

إذا عفوت فلا تندم على عفوك ، وإذا قدرت على عقاب أحد فلا تظهرن الفرح بتلك القدرة ، وإذا أردت الحكم في أمر فلا تستعجل ، وإن وجدت مخرجاً ومتسعاً في العفو فلا تتردد بسلوك ذلك المخرج .

(ولا تقولن إنني مؤمر ...) .

ولا تقل إنني حاكم أمر أستطيع الأمر فأطاع ، لأن ذلك مفسدة للقلب وإضعاف للدين وتقرب إلى تغيير الأحوال نحو الأسوأ .

(وإذا أحدث لك ...) .

وإن أصابك الغرور والأبهة والعظمة للمنصب الذي أنت فيه فاذكر عظمة الله وقدرته على الأخذ منك والعطاء لك وإحيائك وإماتتك ، فإن تذكر ذلك يغيض من تعظيمك نفسك وتكبرك ، ويمنع عنك ما تحس به من سطوة وسرعة في البطش والفتك . كما يرجع إليك ما بعد عنك من عقلك واتزانك .

أسئلة المناقشة :

- علل أسباب انتشار الكتابة بعد انتشار الإسلام ؟
- ما هي بنية الرسائل في عصر صدر الإسلام ؟
- جاءت أحاديث الرسول (ﷺ) منهاج حياة وعمل وضح ذلك ؟ أين يتبين هذا المعنى في أحاديثه ؟
- أي معاني العدل أراد الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) ترسيخها بين المسلمين ؟
- قال الإمام علي (عليه السلام) « فأعطهم عفوك » ما الذي عناه في هذه العبارة من رسالته ؟



أثر القرآن الكريم في الأدب العربي

١ - في اللغة

نزل القرآن الكريم بلغة العرب ، ونهج أساليبهم في التعبير ، وتميز بضروب كلامهم في الإيجاز والإطناب ، والحقيقة والمجاز ، وما إلى ذلك من ألوان ، ومع كل هذا فقد فاقهم بلاغة وبياناً ، فتحداهم ، وهم أهل الفصاحة وأرباب البيان بأسلوبه الرائع .

وكان معجزة الرسول (ﷺ) الكبرى ، ودليله على صحة نبوته . وللقرآن الكريم أبلغ الأثر في الأدب العربي سواء في الألفاظ أو المعاني أو التراكيب أو الصور .

واحتذى الشعراء والكتاب تلك الألفاظ والمعاني ، ونهجوا على طريقة تراكيبه وصوره كما أنه هذب لغة العرب وشذبها ، فأكسبها كثيراً من السلاسة والعدوية ووحد لهجاتهم المتنوعة في لهجة واحدة ، هي لهجة قريش التي نزل بها الوحي على رسول الله (ﷺ) . وأشاع لغة العرب في أرجاء واسعة من العالم ، حيث صار يتكلم بها من دخل الإسلام ، وأصبحت اللغة الرسمية ، يتكلمون بها ، ويكتبون بكلماتها .

٢ - في الشعر

ويتجلى تأثير القرآن في أشعار العصر الإسلامي ، إذ اقتبس الشعراء كثيراً من ألفاظه وعباراته ، وزينوا بها أشعارهم ، من ذلك قول كعب بن زهير :

مهلاً هداك الذي أعطاك نافلة الـ
قرآن فيها مواعيط وتفصيل

فقد اقتبس كلمة القرآن التي وردت في قوله تعالى :

﴿ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ (الزخرف / ٣)

وقول الشاعر

مقاومٌ لطغاة الشرك يضربهم حتى استقاموا ودين الله منصور

مقتبساً كلمة (الشرك) التي أكسبها القرآن الكريم ، وغيرها من الكلمات القديمة معنى جديداً كقوله تعالى :

﴿ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا ﴾

(النساء / ٤٨)

واحتذى الشعراء معاني القرآن وأفكاره ، من ذلك تأكيدهم معنى التوحيد وفكرته كقول كعب بن مالك :

بأن الله ليس له شريك وأن الله مولى المؤمنين

إذ وردت هذه الفكرة في قوله تعالى : « لا شريك له » ومن المعاني القرآنية التي أكدها الشعراء فكرة القضاء والقدر كقول كعب بن زهير :

فقلت خلوا سبيلي لا أبا لكم فكل ما قدر الرحمن مفعول

إذ نظر في هذه الفكرة إلى قوله تعالى :

﴿ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا ^{٤٤} وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴾

(الأنفال / ٤٤)

أما صور القرآن الكريم ، فقد اعتمد الشعراء تشبيهاته ، واستمدوا من صورته الرائعة الجميلة ، من ذلك قول حسان مصوراً وحدة المسلمين :

مستعصمين بحبل غير منجلم مستحکم من حبال الله ممدود



إذ وردت هذه الصورة في قوله تعالى :

﴿ وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ۗ ﴾ (١٠٣)

(آل عمران / ١٠٣)

ووجد الشعراء في قصص القرآن الكريم زاداً لا ينفد ، ومعيناً لا ينضب

فاستمدوا منه كثيراً من إشاراتهم القصصية كقول النابغة الجعدي :

أو سبأ الحاضرين مأرب إذ يبنون من دون سيله العرما

يشير في ذلك إلى قصة سبأ التي وردت في سورة سبأ .

ومن ذلك قول كعب بن مالك :

وإن تك نمل البر بالوهم كلمت سليمان ذا الملك الذي ليس بالعمي

مشيراً إلى قصة سليمان (عليه السلام) وتكليمه النمل .

أما تأثير النثر العربي بالقرآن الكريم فلا يقل عن تأثير الشعراء ، فقد استعار الخطباء والكتاب من ألفاظه ومعانيه ما وشحوا به عباراتهم وزينوا أساليبهم واحتذوا بلاغة تراكيبه وفصاحة ألفاظه مع إيجاز كلماته وسعة معانيه وسلامة أسلوبه وافتتحوا خطبهم ورسائلهم بما ورد فيه من عبارات ذكر الله ، وصيغ حمده وتمجيده .

أسئلة المناقشة :

- ما هي أشكال أثر القرآن الكريم في الأدب العربي ؟

- تأثير النثر العربي بالقرآن الكريم وضح ذلك ؟

الأدب في العصر الأموي

بعد أن وطد الإسلام لدولته دعائم البقاء والاستقرار ، كانت الأمة تتحمل أعباء نقل القيم الجديدة إلى أم الأرض وتحرير العراق والشام من جور ظلت مظالمه تلهب ظهور القبائل العربية في هذين المصرين ، فراح أبناء العروبة المؤمنون بالدين يندفعون بإيمان ويقاتلون بعقيدة ويسجلون آيات البطولة بإباءٍ وفخر يحملون تعاليم ومبادئ خيرة فكانت قوافلهم تنير طريق الهداية وجحافلهم تفرش دروب الحياة بكل ما يعيد إلى أولئك الناس طعم الكرامة ويمسح عن وجوههم قتامة السنوات الظالمة . وتشير المصادر التاريخية إلى الصلات الوثيقة التي كانت تشد بين المحررين وهم يشعرون بأواصر الصلة وقرابة النسب . ومن الطبيعي أن يخلف المقاتلون وهم يدخلون أرض العراق أو الشام وراءهم مناظر الصحراء التي ظلت عالقة في نفوسهم والمرابح التي عاشت في حياتهم والأهل الذين حملوا جبههم ، والأحبة الذين ظلت أسماؤهم لامعة في قصائدهم ليستقبلوا حياة جديدة ويتخذوا مواطن أخرى دعتهم الحاجة إلى البقاء فيها ويختلطوا بأقوام وجدوا في ظل الإسلام أمناً وفي تشريعاته حماية وفي سماحته كرامة فدخلوا في دين الله أفواجاً .

كما وجدوا في اللغة العربية لساناً يعبرون به عن فكرهم وحسهم وثقافتهم لأنها لغة التفاهم ووسيلة الحياة وأداة التعبير ولأنها لغة الدولة الرسمية التي تخضع لها نظمها وتكتب بها رسائلها فكثرت مصطلحات الإدارة والدواوين والجند وأدوات الحرب وصنوف الأسلحة ومفردات الحياة .



أما الشعر فقد ساعدت البيئات والاندية الادبية على انتعاشه والحركة الادبية بشكل عام . لأنها كانت المكان المناسب الذي يتبارى فيه الشعراء وتعرض فيه بضاعة الادب .

إلا أن تقدم الزمن ودخول الموالي وازدياد الاختلاط وظهور الثقافات والتأثر بالعلاقات التي خلقتها أحوال الحياة والتطور الاجتماعي ، والاقتصادي والحضاري قد أثر في بناء القصيدة ولون مفرداتها بألوان المظاهر التي أصبحت جزءاً من الحياة الأدبية وانعكست على صورتها فبهتت بعض ملامح الصحراء وضاعت دائرة الحديث عن المربع وخضعت ألفاظ الشعر لهذا التطور فأصبحت تقصد لذاتها وأصبح الشعر الذي يجري في أول أمره غير مقيد بشيء شعراً يتكلف فيه الشاعر جمال الشكل تكلفاً ، ولم يعد من المهم أن يكون جزلاً قوياً وإنما تكون صورته جميلة ونسيجه اللغوي ليناً وظهرت ؛ بوادر هذا التغير في كثير من الشعر الذي تأثر بانتشار ضروب الموسيقى ، ورق لإيقاع الدفوف وترنيم الأغاني ، وأصبحت السهولة التي اتصف بها بعض الشعراء مذهباً عاماً واتجاهاً مقبولاً .

أسئلة المناقشة :

- تقدم الزمن و تبدل أحوال الحياة عوامل أسهمت في تغيير بناء القصيدة ، كيف ظهر هذا التبدل في بناء القصيدة ؟

لقد فرضت تقاليد القبيلة وصلة الانتماء والشعور بالتواصل على شاعر ما قبل الإسلام خصائص معينة فهو يوقف شعره كله على قبيلته ، وينشر محامدها وينوه بأشراف قبيلته وذوي النباهة منهم ، معتزاً بخصالهم النبيلة ومشيداً بمآثرهم الحميدة ، من كرم وشجاعة ونخوة ومروءة وحلم ووفاء وفروسية وإباء وعفة وحماية جار ، أو استجابة لنداء إنساني ، وكان لأبد لهذه التقاليد أن تضعف ولأبد أن يبر الشعر وهو ينتقل من مرحلة إلى أخرى بحالة من التخلخل لما ألفه من بناء فني محكم في الشعر القديم ، ومضمون متجدد وإن كانت كثير من تقاليد هذا البناء وما أوحته تلك الصور وتوافق التعبير البلاغي قد تسرب إلى القصيدة الجديدة وأثر في نهجها وحدد بعض مساراتها ولكن الهيكل العام للقصيدة بدأ يتغير بوضوح كما أن التراكيب والمفردات أخذت منحى فيه بعض الاختلاف ومثل ما مرّ الشعر بمرحلة الانتقال فقد عانى الشاعر من هذه المرحلة معاناة نفسية ، وهو يحس أن التوفيق بين الولاء القبلي والخضوع للتقاليد الموروثة من حيث الالتزام ، وبين الولاء لأناس لا يمتون للقبيلة بصلة أصبح قضية نفسية صعبة وحالة من حالات المضايقة الذاتية الحرجة . وكاد أن يكون الخروج من هذا المأزق صعباً وربما دفع الشاعر إلى التعبير عنه بالاشادة بنفسه والفخر بقبيلته وسرد مآثر قومه من خلال مديحه للآخرين . وقد تحول المديح في كثير من جوانبه إلى تصوير الفضيلة الدينية في الممدوح وقد وثق هذا التصوير المعتقد السائد من أن الحكم والدين مرتبطان ارتباطاً وثيقاً ، وقد وجد الشعراء في ذلك مجالاً للحديث عن التقوى والعدالة السماوية .



شعر النقائض

يمكن عُدُّ (النقائض) باباً من أبواب الهجاء بعد أن أصبحت فناً له خصائصه والتزاماته عند جرير والفرزدق والأخطل وغيرهم من الشعراء الذين شاركوا في إذكاء لهيب هذا الفن الذي قدم لنا نماذج جديدة ، وولد معاني محدثة ومفردات لم يسبق لهم استعمالها من حيث المدلول ، والنقائض خير قالب يصاغ فيه الهجاء ويتيح له استكمال الصورة الفنية المطلوبة بعد ان التزم شكلاً يمس ببناء القصيدة الخارجي وموسيقاها العامة ، وهو التزام الشاعرين المتناقضين بحراً واحداً . وقافية واحدة ومنها ما يتصل ببنائها الداخلي وهو نقض الشاعر معاني خصمه .

ولم يخلُ هذا الفن من التوجيه الذي أعطى الشعراء قدرة الرقابة وتحديد السلوك الذي ياباه المجتمع وترفضه التقاليد وهم يفيضون في تحديد صفات المهجو ويختارون له أكثر الصفات نفوراً وأشدّها وقعاً وأكثرها تأثيراً ، لتظل لصيقة بهم طوال حياتهم ، وتفزعهم صورتها ويرهبهم ظلها ويؤذيهم ذكرها ولعل الخوف والهلع والبكاء الذي أثارته بعض قصائد الهجاء يعطينا صورة التأثر الذي تركه هذا الشعر في توجيه المجتمع توجيهاً سليماً ودفعه إلى تجنب كل صورة يأنفها ولا يرضاها .



ويعد الشعر السياسي الذي أُطلق عليه شعر الفرق الإسلامية واجهة جديدة عبّر من خلاله أصحاب الفكر عن الأتمودج المطلوب في الخلافة بكل حرية وأفاضوا في مواقفهم . وعلى الرغم من اشتداد المنافسة واحتدام الجدل وقوة المعارك فإن الرأي الحرّ بقي صوتاً مرفوعاً وكلمة وتقال وفكراً يُدافع عنه .

وقد انفراد هذا الضرب الشعري بخصائص منها اعتماده وثيقة تاريخية وسياسية وعقائدية ، واستغراقه في التعبير عن الرأي والاحتجاج لما يسعون إليه من أفكار والتأثير في أصحاب الاتجاهات الأخرى للرد عليهم ، أو إبطال حججهم أو تقييد معتقدتهم ، والشعر في كل صورة من هذه الصور يصطنع الأدلة والبراهين ويعتمد القياس والاستدلال ويحمل طابع التأثير العاطفي

ويتجه الشعر السياسي إلى التعبير عن المشاعر بإيمان ، ويذهب في أغراض يجمعها الجهاد في سبيل العقيدة واسترخاض الحياة وطلب الشهادة ، وفي إطار هذه المعاني كان الرثاء في الشعر السياسي إشادة بنبل الغاية وسمو المبدأ ورسم الصور المشرقة التي يُحققها المقاتلون والمؤمنون بعقيدتهم في الترامي على حياض الموت . أما المدح فيأخذ جانب التعبير عن الشناء بالشجاعة والصلابة والإيمان والصدق والقدرة على المواجهة ولم يكن الهجاء إلا للخصال التي اعتمدها في المديح ، فكان التردد والتخاذل والتراجع والفرار في الحرب من الصفات التي يُذم بها المهجو ولا بدّ أن تأتي معاني هذه الأغراض جديدة وأساليبها موفقة وصورها مستمدة من طبيعة المعالجة التي رافقت الأحداث وواكبت حركة التجديد والتطورات في هذا العصر .



الغزل

اتجه الغزل في هذا العصر باتجاهين عَبَّرَ شعراء كل اتجاه عن فكرهم وعاطفتهم وموقفهم من المرأة ، فالشعراء العذريون عُرِفُوا بغزلهم النقي الطاهر وتعلق العاشق بمحبوبة واحدة يرى فيها مَثَلَهُ الأعلى الذي يحقق متعة الروح ورضا النفس واستقرار العاطفة ، وهو استقرار يجعل فتنته بوحدة تقف عندها آماله ، وتحقق فيها أمانيه وهو الهدف الذي يطلبه والغاية التي يسعى إليها والأمل الذي يرتجيه وقد ترك لنا هذا الشعر نماذج من العشاق خلدت أسماءهم عفة وعاشت ذكرياتهم صوراً من صور الوفاء الإنساني والتضحية الخالدة امثال جميل بثينه وكثير عزه ، وقيس بن الملوح . أما الشعراء الآخرون الذين وجدوا في الحديث عن المرأة إرضاء لحواسهم فكانوا يمثلون الصورة التقليدية التي واكبت الحياة الأدبية وربما غلب على كثير منهم طابع التصور والإفراط في استحداث الوسائل التي يعبرون فيها عن اللقاء العابر والحديث الصريح . ويمثل عمر بن أبي ربيعة والعرجي والاحوص هذا التيار الذي قدم لنا لوحاتٍ رائعة في الحوار التجسدي الذي أعطى المرأة فيه نصيباً من الحديث .

وإليك - عزيزي الطالب - نماذج من أغراض الشعر في هذا العصر .

أسئلة المناقشة :

- لقد ظهرت في العصر الأموي بعض الأغراض الجديدة نسبياً ، ما هي ؟
معللاً إجابتك .
- عُرِفَ الغزل غرضاً قديماً في الشعر العربي ، لكنه عُرِفَ باتجاهين في العصر الأموي ، ماهما ؟ و من من الشعراء مثل كل اتجاه ؟

الفرزدق

هو همّام بن غالب بن صعصعة ، والفرزدق لَقْبُهُ . ولد عام (٢٥هـ) ونشأ في البصرة وتوفي عام (١١٠ هـ) . وقد عُرف أبوه بمناقبه المشهورة ، وكان جده أحد سادة العرب وأشرفها في عصر ما قبل الإسلام ، ذاع صيته لمكارمه التي كانت مضرب المثل . وكان لنشأته في بيت كريم ذي مآثر ومفاخر وقبيلة لها سلطان واسع ، وأيام مشهورة أثر عميق في الاعتداد بهما ، والتفاخر بمحامدهما وهو يرد على خصومه ويناقض أعداءه والشعراء الذين حاولوا الانتقاص من هذا البيت وهذه القبيلة ، وتبقى قصائده سجلاً مملوءاً بمفاخر قومه وأيامهم التي بوأتهم المراكز المرموقة ، وحققت لهم الريادة في بيوت الشرف والسيادة ورفع أمر هجائه في بني تميم إلى زياد بن أبيه وكان ذلك في سنة خمسين للهجرة فطلبه وخافه الفرزدق فهرب منه متجهاً نحو البادية ومنها انتقل إلى المدينة وكان عليها سعيد بن العاص من قبل معاوية فأمنه وأجاره فمدحه مدائح كثيرة وطرق الفرزدق أغراض الشعر المعروفة في عصره واستطاع أن يتفوق على معاصريه في الفخر لثقتهم بأمجاد آبائهم واعتداده بمفاخرهم ، واستلله من تاريخ حافل بكل ما يدعو إلى الفخر ويبعث على الاعتزاز وكان الفرزدق ينبوعاً من ينباع الشعر .



قال الفرزدق مادحاً الإمام علي بن الحسين زين العابدين (عليهما السلام) :

(للحفظ : ٨ أبيات)

والبيتُ يعرفُه والحِلُّ والحَرَمُ ^(١)	هذا الذي تعرفُ البطحاءَ وطأتهُ
هذا التَّقِي النَّقِي الطَّاهِرُ العَلَمُ	هذا ابنُ خَيْرِ عبادِ اللهِ كُلِّهِمُ
بجده أنبياءُ اللهُ قَدْ خُتِمُوا	هذا ابنُ فاطمةٍ إن كُنْتَ جاهِلَهُ
العَرَبُ تعرفُ مَنْ أنكَرَتْ والعَجَمُ ^(٢)	وليسَ قولكُ مَنْ هذا بِضائِرِهِ
يزينهُ اثنانُ حُسْنُ الخَلْقِ والشَّيْمُ ^(٣)	سَهْلُ الخَلِيقَةِ لا تُخشى بَوادِرُهُ
عنها الغياهُبُ والإملاقُ والعَدَمُ ^(٤)	عمَّ البريةَ بالإحسانِ فانقشعت
إلى مكارمِ هذا ينتهي الكرمُ	إذا رآته قريشٌ قال قائلها
فما يكَلِّمُ إلا حينَ يبتسمُ ^(٥)	يغضي حياءً ويغضي من مهابتِهِ
كالشمسِ تنجأُ عن إشراقها الظُّلْمُ ^(٦)	ينشق ثوبُ الدجى عن نورِ غُرَّتِهِ
كفرٌ ، وقربُهُم منجى ومعتصمُ ^(٧)	من معشرِ حُبِّهم دينٌ وبُغْضِهِم





اللغة

- ١- البطحاء : أرض منبسطة في وسطها مكة .
- الوطأة : موضع القدم .
- البيت : الكعبة .
- الحل : ما جاوز الحرم من الأرض .
- الحرم : ما لا يحل انتهاكه ، ويراد به مكة وما جاورها من أراضٍ .
- ٢- ضائرته : مضرُّ به ، أي محط من قدره .
- ٣- الخليقة : الطبع .
- البادرة : الحدة أو ما يبدو من الإنسان عند غضبه .
- الشيم : الأخلاق .
- ٤- انقشعت : انجلت ، تكشفت .
- الغياهب : الظلمات .
- الإملاق : الفقر .
- ٥- يغضي : يخفض الطرف ، أي أنه يغض طرفه حياءً ، ولكن الناس لعظم هيبتة لا يرفعون إليه أبصارهم إلا إذا ابتسم لهم إيناساً .
- ٦- الدجى : سواد الليل وظلمته .
- غرته : غره : مقدمة الرأس .
- تنجأب : تنكشف ، وتنقشع .
- ٧- معشر : قوم .
- معتصم : ملجأ .



التعليق النقدي

ذكر أبو الفرج الاصفهاني أن هشام بن عبد الملك حج في أيام أبيه ، وطاف في البيت الحرام ، وجهد أن يصل إلى الحجر الأسود ليستلمه ، فلم يقدر على ذلك لكثرة الزحام ، فنصب له كرسيً وجلس عليه ينظر ، ومعه جماعة من أعيان أهل الشام .

وبينما هو كذلك ، إذ أقبل زين العابدين علي بن الحسين (عليهما السلام) فطاف بالبيت ، ولما انتهى إلى الحجر الأسود ، تنحى له الناس حتى استلمه فقال رجلٌ من أهل الشام لهشام : مَنْ هذا الذي هابه الناس هذه الهيئة ؟ فقال هشام : لا أعرفه ، مخافة أن يرعب فيه أهل الشام . وكان الفرزدق حاضراً فقال : أنا أعرفه ثم اندفع فأنشد قصيدته هذه فأغضبت هشاماً فأمر بحبسه بين مكة والمدينة . لقد استهل الشاعر قصيدته بتعريف زين العابدين ممتدحاً ومعظماً فهو أفضل الناس تقىً وطهارةً وشهرةً ؛ إذ انحدره من صلب النبي محمد (ص) وفاطمة (عليها السلام) .. فَمَنْ تَنَكَّرَ لَهُ وَتَجَاهَلَهُ لَا يَضِيرُهُ وَلَا يَخْزِيهِ ؛ لِأَنَّ الْمَلَأَ كُلَّهُ يَعْرِفُهُ وَيَقْرُبُهُ بِتَفُوقِهِ وَإِنْسَانِيَّتِهِ وَعِصْمَتِهِ .. فهو الكريم السمح ، الطلق الوجه الحسن الخلق والخلق .

سَهْلُ الْخَلِيقَةِ لَا تَخْشَى بَوَادِرُهُ
الذي يمتلك المهابة والحياء ..
يَزِينُهُ اثْنَانِ حُسْنُ الْخَلْقِ وَالشَّيْمِ
فَمَا يُكَلِّمُ إِلَّا حِينَ يَبْتَسِمُ
يغضى حياءً ويغضى من مهابته

وهذا المدح مبطن بهجاء ، والتنويه بشهرة المدوح رداً على مَنْ جهل من قدره..

هذا الذي تعرفُ البطحاء وطأتهُ والبيتُ يعرفُهُ والحِلُّ والحَرَمُ
وَلَيْسَ قولكَ مَنْ هذا بِضائِرِهِ العَرَبُ تعرفُ مَنْ أنكَرَتَ والعَجَمُ

وهذا يعني أن القصيدة صدرت عن شعور عاطفي جياش لكونها متسمة بمياسم الارتجال والارتجاز فهو يستهلها دون مقدمة كما هو مأثور في شعر المديح فقد اقتضته المناسبة أن يبادر القول ، دون تمهل بفعل الحماس والإيثار ، فضلاً عن استناده إلى التكرار اللفظي في اسم الإشارة (هذا) والنعوت (التقي - النقي - الطاهر - العلم - سهل الخليقة ...) مع الإكثار من الألفاظ الدينية (البطحاء - البيت - الحل - الحرم) ومن ثم نمو المضامين وتصاعدها وارتفاع هামاتها بحماس وصدق في إيقاع منتظم مع صدق العبارة وانهمار المعاني .



جميل بثينة

هو جميل بن معمر من بني عذرة ، ولد نحو (٤٠ هـ) في وادي القرى ونشأ فيها وتعلق بثينة وتعلقت به فخطبها إلى أبيها ولكن أبها رده ، وقد ألهمته الشعر فتغنى بها وعرفت بثينة ذلك فمنحته حبها وعطفها وبسبب ما تعرضت له احتجبت راغمة واضطر أهلها إلى أن يستعينوا عليه مروان بن الحكم ولم يكتف أهلها بذلك وإنما زوجها من فتى في القبيلة ، فاسودت الدنيا بعين جميل والتاع لهذا الخبر التياعا شديداً وهام على وجهه وصور حاله فقال :

علقت الهوى منها وليداً فلم يزلْ
وأفنيْتُ عمري في انتظارِ نوالها
إلى اليوم ينمي حبُّها ويزيدُ
وأبليتُ فيها الدهرَ وهو جديدُ

ويظل جميل أسير هذا الحب ، يشقى بمرارته ويتعذب ببعده ويعنف من أجله حتى يرحل إلى مصر متحملاً من الجهد في عشقها ما يطيق وما لا يطيق ، إلى أن وافاه الأجل سنة اثنتين وثمانين ولا يزال اسم بثينة نغماً يتردد على لسانه وصوتاً لا يفارق أنفاسه الأخيرة .



قال جميل بثينة :

(للدرس)

ألا ليت أيام الصفاءِ جديداً
فغنني كما كنا نكون وأنتم
خليلي ما أخفي من الوجدِ ظاهرٌ
إذا قلت ما بي يا بثينة قاتلي
وإن قلت ردي بعض عقلي أعش به
فلا أنا مردودٌ بما جئت طالباً
فأفنيت عمري في انتظارِ نوالها
علقت الهوى منها وليداً فلم يزل
ألا ليت شعري هل أبيتن ليلةً
وقد تلتقي الأشتات بعد تفرقٍ
يموت الهوى مني إذا ما لقيتها
يقولون جاهداً يا جميل بغزوةٍ
لكل حديثٍ بينهن بشاشةً
ودهراً تولي يا بثين يعود^(١)
صديق وإذ ما تبدلين زهيد^(٢)
ودمعي بما أخفي الغداة شهيد^(٣)
من الحب قالت ثابت ويزيد
مع الناس قالت ذاك منك بعيد
ولاحبها فيما يبئد يبئد
وأبليت منها الدهر وهو جديداً^(٤)
إلى اليوم ينمي حبها ويزيد^(٥)
بوادي القرى إنني إذن لسعيد^(٦)
وقد تدرك الحاجات وهي بعيد^(٧)
ويحيا إذا فارقتها فيعود
وأبي جهادٍ غيرهن أريد
وكل قتلٍ بينهن شهيد





اللغة

- (١) تولَّى : انقضى .
(٢) نغنى : نقيم .
- زهيد : قليل .
(٣) خليلي : صاحبي وهي صيغة استعملت في القصيدة للدلالة على الرفقة
والسفر وتأخذ صيغة المثني .
- الوجد : شدة الحب . الغداة : الوقت ما بين الفجر وطلوع الشمس .
(٤) نوالها : عطاؤها . أبلت : أخلقت ، أي : اضحى قديماً زائلاً .
(٥) ينمي : ينمو .
(٦) ليت شعري : ليت علمي .. وادي القرى : وادٍ في الحجاز قرب المدينة
المنورة .
(٧) الأشتات : المتفرقون .



التعليق النقدي

يصور جميل في أبياته حبَّ العذري ، ونقاءه الصافي ومودته الصادقة وطهره
وعفته . وهي حالة عودنا عليها شعراء هذا الاتجاه وهم يخلدون الوفاء الإنساني
ويتركون للأجيال حالات الإنسان التي ترتفع عن كل ما يشين الوجه النقي
لظاهرة الحب ، وينزهونه من كل ما يدفع عنه تهمة الحسية التي ظلت عالقة
بأذهان بعض الباحثين .



وهي أصواتٌ تَدُكِّرُ وأمنياتٌ عودَةٍ وآهاتٌ تحسُّرٍ تسللُ إليها من خلال التمهيد الشعري السهل ، وتوصل إلى المعنى المطلوب مستعيناً بالعبارة الرقيقة والمفردة المختارة الدالة والحوار الداخلي الذي ترك للشاعر حرية التحريك والاجابة والتذكر قد استطاع أن يعبر عن إحساسه الداخلي بقناعته وهو يتذكر وادي القرى الذي شهد اللقاءات الأولى فحامت حول غدرانه نظرات العيون وتوزعت بين جداوله المناسبة أبيات الشعر الأولى . ومع قسوة الزمن الذي ضيق عليه أسباب اللقاء وضيق عليه مواقف لحظات السعادة التي كان يستشعرها بوجودها ، فإنَّ أمله المرتقب ظل يداعب أحلامه وهو ينتظر ويتأمل ... وهي حالات نفسية عزز الشعراء بها أحلامهم ، ووثقوا صلتهم التي كثيراً ما تتعرض إلى الاهتزاز .. ويصل الشاعر إلى ذروة العطاء والتألق وهو يشير إلى الحالة النفسية الحادة في موت الهوى عند اللقيا وفناء أسبابه في الموعد المرتقب لما يغمره من شوق ويعتريه من سعادة .. ولكن الحالة التي تصورها أزلية تنتهي عند أول لحظة من لحظات الفراق فتتكاثر الهموم وتتكاثف موجات الألم .

ويبقى جميل في ظل المقولات التي تدفعه للجهد الذي يقتصر على الظفر ببثينة ويبقى لحديث الأحبة طعمه الطيب ولضحكاتهن البشاشة في كل لون .
أما العشاق الذين يتساقطون فهم الشهداء في حضرات الأحبة ، إنه الحديث الخالد الذي نشره جميل بثينة وبقي يتردد في كل جيل وعلى لسان كل الذين يجدون فيه صوت العاطفة الصادقة ولون الوفاء الإنساني الخالد .



عمر بن أبي ربيعة

من شعراء الحجاز الذين أغنوا التراث الشعري العاطفي . ولد بمكة سنة ثلاث وعشرين وقيل سمي بعمر لموافقة ولادته يوم اغتيال الخليفة الراشد عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) على يد أبي لؤلؤة المجوسي . نسب إلى قبيلته قريش فقبيل القرشي والى عشيرته فقبيل المخزومي ، وكُنِيَ بأبي الخطاب .

وتجمع المصادر على أن عمر كان وسيماً وقد أثار هذا في نفسه إعجاباً متناهياً تحدث عنه في شعره فكان موضع إعجاب النساء ، وقد تشوقن إليه وَلَهَجْنَ بذكر اسمه ووصف غروره بجماله وبنفسه حتى حمله هذا الإعجاب على الاهتمام بهيئته وملابسه وعطره فهو القائل :

وكنَّ إذا أبصرنني أو سمعنني
سَعَيْنَ فَرَقَعْنَ الكوى بالمحاجر

وتوافرت لعمر منذ صغره أسباب الترف والرفاهية ، وتقلب في أحضان اليسر والسَّعة وترعرع في ظلال اللين والدعة ، يشهد مواسم العقيق ويمتع نفسه بمشاهد الغناء والطرب ، وقد أثرت هذه الحقبة في حياته وتوجيه شعره ولم تقعد به هذه الحياة وإنما ظل يتجشم هول السرى ويشد الركاب ، يصوغ أناشيد الحب ويروي قصص الغرام ، ويعيد ألحان العذارى ، فعرف أكثر بقاع الجزيرة العربية وكابد أصناف المشقات ولا نغالي إذا قلنا «إنَّ شعره يعج بوصف الحياة التي كان يحيها وأنه كان يصور النسوة اللواتي يتحدثن إليه ويستنشدنه الاشعار ويسألنه أن يقصَّ عليهن بعض أخباره» .

ولم يكن يطمح عمر أن ينال منهن أكثر من نظرة أو حديث أو ابتسامة رضى
واستحسان. ولعله من الغريب أن يكون شاعر مثل عمر ملاً الدنيا بحق وشغل
الناس يموت فيجهل الرواة أمر موته ويختلفون في سببه وموضعه ويضطرب
جيل الرواة في تحديد سنة وفاته ويرى بعضهم أنها كانت سنة ثلاث وثمانين
للهجرة ويروي آخرون أنها ثلاث وتسعون ، ويمد فريق ثالث بعمره فيجعله
السنة الأولى بعد المئة .

قال عمر في إحدى محاوراته :

(للدرس)

قال لي صاحبي ليعلم ما بي

أتحبُّ القتل أخت الربابِ

قلتُ وجدي بها كوجدك بالعد

بِ إذا ما مُنعتَ طعم الشرابِ (١)

مَنْ رسولي إلى الشريا فيني

ضقتُ ذرعاً بهجرها والكتابِ (٢)

أرهقتُ أمْ نوفلٍ إذ دعتهَا

مُهجتي ما لقاتلي من متابِ (٣)



حين قالت لها أجيبني فقالت

مَنْ دعاني قالت أبو الخطابِ

أبرزوها مثل المهابة تهادى

بين خمس كواعبٍ أترابٍ (٤)

فأجابت عند الدعاء كما لبي

رجالٌ يرجون حُسنَ الثوابِ

وهي مكنونةٌ تحيرَ منها

في أديم الخدين ماءً الشبابِ (٥)

دُميةٌ عند راهبٍ ذي اجتهادٍ

صوَّروها في جانب الخرابِ

ثم قالوا تحبُّها قلتُ بهراً

عدد النجم والحصى والترابِ (٦)



اللغة

- (١) وجدي بها : ولوعي وشغفي . والعذب : أراد الماء المذُهب للعطش .
- (٢) ضقت ذرعا : لم أعد أحتمل . الكتاب : أراد القسم بالقرآن الكريم .
- (٣) ما لقاتلي من متاب : ليس له توبة مقبولة . يُعظم بذلك ذنبها والمراد ترفيق قلبها وتليينهُ .

(٤) المهابة: البقرة الوحشية تشبه بها المرأة في سعة العين . تهادى : أصله

تهادى فحذف إحدى التاءين للتخفيف ، والكاعب : المرأة التي كعب

ثديها واكتنز

الأتراب : المتساويات في السن .

(٥) الأديم : الجلد ، أراد بيان أن ماء الشباب يجري في وجهها .

(٦) تحبها : أتحبها . بهراً : كثيراً .



من الخصائص التي تميز بها شعر عمر بن أبي ربيعة الحوار القصصي الذي أصبح سمة بارزة بعد أن وفق الشاعر إلى استعماله وهو يصف مغامراته وأحاديثه ومشاعره بعبارة سهلة ، وتركيب أنيق ووصف دقيق .

وكانت أحاديثه التي يطوي في ثناياها عواطفه الساخنة وأشواقه اللاهبة تمرّ عبر هذا الحوار وهو يدور بينه وبين أصحابه الذين يجسد في صورهم ما يريد التعبير به ..

ومثل ما كان الحوار واضحاً في قصائده كانت الرسل التي تشد بينه وبين الأحبة مفردة أخرى تتكرر في قصائده لأنه يجد فيها الوسيلة الناجعة والطريق الموصل والسبب المستديم لإبقاء حالة الشوق قائمة ، وفي كل رسالة أو جواب تتوالى مضامين المعاني التي يعبر فيها الشاعر عن آماله من جهة وعن الأمنيات التي يتمناها .



وهي تأتي على لسان واحدة ممن اختارهن من جهة أخرى ولا بُدَّ أن يكون الجواب اسم الشاعر (أبو الخطاب) ، وتكتمل الصورة عند الشاعر حينما يجدها ضمن مجموعة من الحسان وهنَّ يتهادين دلالةً ويجتمعن كعابا . ويستعيد في جوابها صوت دعاء الملبين الذين يرجون حسن الثواب . إنها الصورة التي يجسد فيها كل المعاني ويحشد لها الصفات ويضفي عليها من ألوان الجمال ما يجعلها أكثر حسنا وأروع جمالاً ، ويكون بعد هذا جوابه عشقاً يفوق عدد الحصى ، وحباً أكبر من النجم والتراب ، إنها اللوحة الفنية التي أغناها الشاعر الغنائي بالنغم واللون والصوت فكانت نشيداً هادئاً يتهادى ، ولحناً غنائياً تعزفه أصوات الأجيال ، وهي ترى فيه نفسَ الشاعرِ الصافي وحسه النقي وحبه الغامر .



ليلى الأخيلية

هي ليلى بنت الأخيل^(١) بن عقيل بن كعب ، وهي أشهر النساء ، لا يقدم عليها
غير الخنساء .. من شعرها في حبيبها (توبة) راثيةً له :-

(للفظ ٨ أبيات)

فأقسمت أرثي بعد توبة هالكاً
لعمرك ما بالموت عارٌ على الفتى
وما أحدٌ حيٌّ وإن عاشَ سالماً
ومن كان مما يحدث الدهر جازعاً
وليس لذي عيشٍ من الموت مذهب
ولا الحيُّ مما يحدث الدهرُ معتبٌ
وكل شباب أو جديد إلى بلى
فأقسمت لا أنفك أبكيك مادعت
وأحفل من دارت عليه الدوائر^(١)
إذا لم تصبه في الحياة المعابرُ
بأخلد ممن غيبته المقابرُ
فلا بد يوماً أن يرى وهو صابرُ
وليس على الأيام والدهر غابرُ^(٢)
ولا الميت إن لم يصبر الحيُّ ناشرُ^(٣)
وكل امرئ يوماً إلى الله صائرُ^(٤)
على فنٍ ورقاء أو طار طائرُ^(٥)

(١) نسبها هنا إلى جدها الأعلى .





اللغة

- ١- أحفل : أهتم ، - الدوائر : المصائب ودواعي الزمن .
- ٢- غابِرُ : زائل .
- ٣- معتب : مسامح ، - ناشر : عائد .
- ٤- بلى : زوال .
- ٥- فَنِّينٌ : عُصْن ، - ورقاء : حمامة بيضاء مطوقة الرقبة بالسواد .



التعليق النقدي

الرتاء هو غرض القصيدة التي نظمتهما (الأخيلية) بعد موت (توبة) بنائية فنية ومعالجة موضوعية هيأت لها بافتتاحية (القسم) الذي مهد لشخصية المرثي وذاتها (أقسمت أرثي) ، أي : أقسمت لا أرثي ؛ لأن حياتها أضحت صحراء قاحلة بعد فقدها حبيبها الذي لا تستطيع تعويضه . ويستمر صوت الذات الشاعرة شاخصاً باستذكاره حتى النهاية فقسم الختام وهذا يعني استمرارية الحزن المرابط للطبيعة ومظاهرها ما دامت على قيد الحياة ..

فأقسمت لا أنفك أبكيك ما دعت على فن ورقاء أو طار طائر

إنها تكشف عن قدرة شعرية متميزة منحت صاحبها موقفاً شعرياً مهماً في القصيدة العربية كون بنائها الفني يعتمد التعامل مع آثارها النفسية في كل محور من محاورها ، من خلال وعي الطبيعة البناء المتجاوز للتقليد فهي تعتمد الحكمة في مضمونها مع اهتمام بفلسفة الموت .

أسئلة المناقشة :

- مثل كل من الشعراء الفرزدق ، جميل بثينة ، ليلي الأخيلية ، اتجاهاً أو غرضاً في الشعر ، ما هو ؟

من الأمور المسلم بها أن عصر ما قبل الإسلام عرف ضروباً من الكتابة التي سجلت فيها المعاهدات والاحلاف وبعض العقود التجارية وعرفت بعض المواطن بانتشار هذا النوع من الكتابة منها (الحيرة ، وغسان ، ونجران ، والمدينة ، ومكة) وغيرها من الحواضر . ومن الطبيعي أن تزدهر الكتابة في المراكز التجارية ولم يقتصر أمر ظهور الكتابة على هذه المناطق المتحضرة بل تسربت إلى البادية نفسها . ولعل كثرة تشبيه الشعراء للأطلال الدارسة بالكتابة والقلم والسطور والنقوش يؤكد هذه الحقيقة التي تروحي بهذه المعرفة . وحفل القرآن الكريم بذكر كثير من أدواتها ووسائلها وهي تأكيد آخر على معرفة العرب بها واهتمامهم بأساليبها وحاجاتهم إليها . إن وجود مثل هذه الاشارات لا يعني وجود كتابة فنية ؛ ولكن انتشار الكتابة في عصر الرسالة الإسلامية وظهور الرسائل المتبادلة بين الرسول الكريم (ﷺ) ورؤساء الدول وبين الخلفاء والولاة والقادة والأمراء تشير بوضوح إلى تعدد أغراض الكتابة واتساع قاعدتها وكانت تتجه إلى إيضاح الغرض وتسلك المسلك الذي يحقق الغايات المطلوبة منها ، بعيدة عن التزويق اللفظي . ومنذ أوائل العصر الأموي ظهر كتاب محترفون وأصبحت الحاجة قائمة لظهور ديوان الرسائل فعرفت الرسائل الفن ، وتنافس الكتاب في إظهار براعتهم ليكسبوا رضا الخلفاء ، فظهرت خصائص تدل على تطور الكتابة وترقيتها .



مثل استعمال السجع أو الإكثار من الغريب أو اعتماد أسلوب الإطناب (وهو أداء المقصود بأكثر من العبارة المتعارفة) وتكتمل حلقة الكتاب في بلاط هشام بن عبد الملك بعد أن أخذت مراحلها الأولى بالنضج والتطور لتستوي فناً متميزاً في نشأة الكتابة الفنية التي أغنى القرآن الكريم ألفاظها، وأمدّها بروح الإبداع الفني فكانت فناً عربياً خالصاً .

٢ - الخطابة :

ازدهرت الخطابة في هذا العصر بعد أن تهيأ لها أسباب الازدهار فحركة الفتوح أثارت في نفوس المقاتلين أسباب التضحية وأذكت روح الإيمان والجهاد بعد اعتماد القادة والولاة في فتوحاتهم هذه الخطابة في بث الحماسة والحمية ودفع الجنود إلى القتال في سبيل الله والاستشهاد من أجل نشر الرسالة الإسلامية . بعد أن دأب القادة على مخاطبة جنودهم قبل المعارك أو في أثناءها ليلهبوا مشاعر الجهاد فيهم . وقد عملت هذه الخطب عملها في تحقيق كثير من الانتصارات وقد أثار التنافس الحاد بين الفئات والدفاع عن الحقوق المشروعة وانبثاق المناظرات بسبب المناقشات الطويلة بشأن فكرة القدر وإرادة الإنسان ومدى حرите موجةً من الاهتمام بالدواعي الموجبة لهذا الازدهار .

أما اتساع رقعة الدولة وانتشار الإسلام فقد أدى إلى انتعاش الخطب الدينية التي كانت تسهم في توضيح المبادئ الإسلامية وتُعرّف الناس بالواجبات التي يُلزم بها المسلمون والتشريع الذي يفرض عليهم التقيد بالحقوق الواجب اتباعها .



وتتصل بالخطبة السياسية تلك الخطب التي كان يلقيها زعماء الوفود الذين كانوا يقدمون من المدن والولايات مهنيين الخلفاء والأمراء ، أو عارضين عليهم حاجاتهم ومطالبهم . وقد دأب خطباء الوفود على اعتماد أسلوب خاص بالخطابة يكثر فيه التعميق ليستدروا به عطف الخليفة أو الوالي أو الأمير على حاجاتهم .

وقد تميزت الخطب بخصائص منها :

١ - خطباء هذا العصر كانوا متأثرين بالقرآن الكريم ، ينهجون نهجه في الأسلوب والتمثيل بآياته .

٢ - كانت الخطب جزلة الألفاظ ، حلوة التعابير لا تخلو من السجع معتدلة في استعمال المحسنات البيانية .

أسئلة المناقشة :

- ما هي الخصائص التي دلت على تطوير الكتابة في العصر الأموي ؟

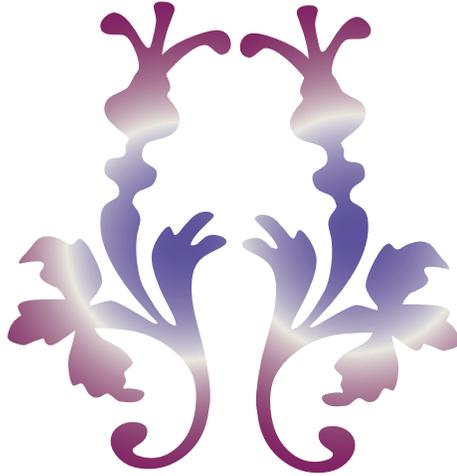
- عين مميزات الخطب في العصر الأموي .



عبد الحميد الكاتب

هو عبد الحميد بن يحيى بن سعيد العامري من أهل الانبار ، نشأ بالشام وسكن الرقة . أقبل على تعلم العربية وعلوم الدين ؛ يبغى من ورائها منزلة رفيعة . كان أول أمره معلماً للصبيان يتنقل في البلدان ولم يكد يعرف الأمويون بنبوغه حتى استكتبوه ولم يزل كاتباً لهم سنة (١٣٢ هـ) حتى قتل مع مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية . وقد ذهبت آثاره بحدداً ولم ينته منها إلينا إلا الشيء اليسير من رسائله الطوال والقصار وهي تمتاز بجمال المعاني وسلاسة الأسلوب . لقد أسهمت عوامل متعددة في تفوق عبد الحميد في الكتابة والتمكن منها بهذه القوة والجودة فلقد كان الكاتب أديباً مولعاً بحفظ الشعر وجيد النثر وكلام البلغاء ونوابغ النثرين ممن سبقوه ولا سيما خطب الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) والإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) ورسائلهما وكانت هذه الرسائل تمتاز بجودة المعنى وفصاحة اللفظ وجمال التأليف وبراعة الأسلوب مع تنويع الخطاب تبعاً لحال المخاطب ، مشفوعاً بإيجاز وإطناب مراعاة لمقتضى الحال . ويرى (شوقي ضيف) أن صياغة عبد الحميد في رسائله لا تكاد تختلف عن صياغة الحسن البصري وواصل بن عطاء وأضرابهما من الوعاظ الذين ألنوا باللغة العربية أساليبهم ومرنوها لأداء معانيهم وكأنما تحول أسلوبهم إلى

عبد الحميد حتى أصبح لا يختلف عنهم في شيء ، فهو يزوج في ألفاظه متخذاً
طريقتهم في الترادف ، موشياً بالصور والطباقات والمقابلات الكثيرة .
وقد ظهرت آثار تلك الأقلام العربية البليغة واضحة جلية في رسائل عبد الحميد
وثمارها تامة النضج يانعة الجنى ثرة الماء فامتازت رسائله بتنوع الخطاب وفي
إطالته للتحميدات في صدور الكتب وفي الإيجاز والإطناب والتفنن بالبدء والختام
وأشهر رسائله أربع : الأولى في وصف الصيد ، والثانية في ذم الشطرنج والثالثة
على لسان مروان إلى الكتاب زيادة على رسائل صغيرة في أغراض مختلفة .



رسالة عبد الحميد إلى الكُتّاب

(للدّرس)

وليس أحدٌ من أهل الصناعات أحوَج إلى اجتماع خلال الخير المحمودة
وخصال الفضل المذكورة المعدودة منكم أيُّها الكُتّاب ، إذ كنتم على ما
يأتي في هذا الكتاب من صفتكم ، فإن الكاتب يحتاج من نفسه ، ويحتاج
منه صاحبه الذي يثق به مُهمات أمره ، أن يكونَ حليماً في موضع الحلم
فهيماً في موضع الحكم ، مقداماً في موضع الإقدام ، محجماً في موضع
الإحجام مؤثراً للعفاف ، والعدل والإنصاف ، كتوماً للأسرار ، وفيّاً عند
الشدائد عالماً بما يأتي من النوازل ، يَضَع الأمورَ مواضعها ، والطوارقَ
أماكنها ، قد نظرَ في كلِّ فنٍّ من فنون العلم فأحكمه ، فإن لم يحكمه
أخذ منه بمقدار ما يكتفي به يعرف بغريزة عقله ، وحُسن أدبه ، وفضل
تجربته ، ما يردُّ عليه قبلَ ورودِهِ وعاقبة ما يصدرُ عنه قبلَ صدوره ، فيُعدّ
لكلِّ أمرٍ عُدته وعتاده^(١) ويهيئ لكلِّ وجه هيئته وعادته .

فتنافسوا يا معشر الكُتّاب ، في صنوف الأدب ، وتفقهوا في الدِّين
وابدأوا بعلم كتاب الله عز وجل والفرائض ، ثم العربيّة ، فإنها ثقاف^(٢)

(١) العتاد :- العدة .

(٢) الثقاف في الاصل : ما تسوى به الرماح .



ألَسنتكم ثم أجدوا الخطَ ، فإنّه حلية كتبكم ، وارووا الأشعار ، واعرفوا
غريبها ومعانيها وأيام العرب والعجم ، وأحاديثها وسيرها ، فإنّ ذلك
مُعِين لكم على ما تسمو إليه هممكم ، ولا تضيّعوا النظر في الحسابِ ،
فإنّه قوامُ كُتَابِ الخراج ، وارغبوا بأنفسكم عن المطامع .

التعليق النقدي

هذه صورة من نشر عبد الحميد بن يحيى كاتب الدولة الأموية في عهدها
الأخير وقد أصبحت الكتابة يومئذ صناعة فنية لها أصول ورسوم من حيث تنوع
موضوعاتها واختلاف أساليبها .

وبأسلوب عبد الحميد الفني والفاظه الرشيقة يوصي الكتاب بمجموعة وصايا
بليغة تدور على ما يجب على الكتاب معرفته وممارسته من آداب الكتابة وحسن
المعاشرة ولزوم التعاون والاتصاف بالأخلاق الحميدة وذلك لما للكتابة من منزلة
رفيعة ؛ فالكاتب يجب أن يجد في نفسه إعداداً يليق به وبمنزلته ، وأن يترك
الرديء من كل شيء مترفعاً عن الوشاية والحقد وإضرار العداوة لأنّ هذه الصفات
تجلب العداوة من دون سبب ، وعلى الكاتب أن يكون حليماً في الموقف الذي
يتطلب ضبط النفس ، متخذاً لكل حال ما يناسبها ومقدماً وجريئاً في المواقف



التي تتطلب الشجاعة والتضحية ، بعيد النظر ، معداً لكل أمر عدته ، عالماً بكتاب الله ملاماً به من كل جوانبه متعمقاً العربية ، وعلى الكاتب أن يكون وفيّاً لصاحبه كاتماً لسره مديراً أمره ، وذلك عند الحاجة إليه .

وإذا ولي الكاتب أمراً وصيّرت إليه مسؤولية من المسؤوليات فهو بضميره الحي الصادق وحسه الرقيق النابع عن وجدانه عليه أن يضع الحق في موضعه ويجعل الله سبحانه وتعالى رقيباً على ما يفعل .

مستهدفاً رضاه ومنصرفاً إلى طاعته ، حاكماً بالعدل جامعاً رعيته على الحجة والتفاني ثم نراه يحض الكاتب على التفقه في الدين والعمل بكتاب الله وفرائضه ، والتمكن من اللغة وتحسين الخط لانه زينة الكتابة ، ويوصيهم برواية الشعر ومعرفة غريبها ومعانيها ومعرفة تاريخ العرب والعجم وأحداثها . ذلك المعين للكاتب في صنعته . ويحذروهم من الانشغال بالحساب والارقام والابتعاد عن المطامع الشخصية .

وهناك وصايا أخرى في رسالة عبد الحميد لا يصعب على القارئ النبيه أن يتبينها . والملاحظ في هذه الرسالة أن عبد الحميد الكاتب قد التزم التمهيد بما يناسب المقام من الصور لكي ينتقل منه إلى غرضه بحجة قوية حتى إذا انتهى منه ختم رسالته بخاتمة تشعر بالانتهاء . كل ذلك في منطوق دقيق يسلسل أفكاره في فقرات تؤدي كل فقرة منها معنى خاصاً وترتبط بما قبلها وما بعدها ارتباطاً وثيقاً من دون اضطراب

ولا إسراع .



لقد مال - عبد الحميد - إلى الإطالة في رسالته التي اقتصرنا على بعضها واستعمل السجع من دون إكثار منه ، لأن أسلوبه لا يعتمد على السجع غالباً بل على ضرب من التوقيع استمده من الترادف الصوتي كما استمده من العناية بلفظه .

لقد عمد - الكاتب - إلى الألفاظ الدقيقة الأداء التي لا يصعب فهمها والتي تسير مع الطبع من غير تعقيد . وقد تميز أسلوبه بالانسجام والمنطق والعبارة المهذبة . ومن التأمل في هذه الرسالة يستشف ما في نفس صاحبها من أخلاقٍ كريمة عالية . ويلاحظ أنه وزن عباراته وزناً برشاقة بعيدة عن التكلف .

إن الكاتب قد فصل من المعاني واستوعب بما يترك زيادة لمستزيد . بأسلوب تميز بالازدواج في الجمل والترادف فيها وذلك لزيادة تأكيد المعاني وتقويتها في نفوس المخاطبين . إن أسلوب عبد الحميد في جملته يتفاوت بياناً وتجويداً في كثير من رسائله على أنه قد سما سموّاً ظاهرياً في رسالته هذه . فقد نوع في أسلوب صياغتها واستعمل الصناعات اللفظية من دون أن يثقل بها عباراته .



خطبة قتيبة بن مسلم الباهلي

(للدرس)

حين قدم قتيبة بن مسلم خراسان والياً عليها من قبل الحجاج (١) سنة (٨٦ هـ) فلما تهيأ لغزو أخرون وشومان - وهما بلاد طخارستان (٢) خطبَ في الناس وحثهم على الجهاد فقال :

(إن الله أحلَّكم هذا المحلَّ لِيُعَزَّ دينه ، وَيُدَّبَ بكم عن الحُرْمات ، ويزيد بكم المال استفاضةً ، والعدوَّ وقماً (٣) ووعده نبيُّه (ﷺ) النصر بحديثٍ صادقٍ وكتابٍ ناطقٍ ، فقال : (هو الذي أرسل رَسولَهُ بالهُدى ودينِ الحقِّ لِيُظهِرَهُ على الدِّينِ كُلِّهِ ولو كرهَ المُشْرِكُونَ) ووعده المجاهدين في سبيله أحسن الثواب وأعظمَ الذخر عنده ، فقال : (ذلكَ بأنَّهم لا يُصِيبُهُمْ ظمأٌ ولا نَصَبٌ ولا مَخْمَصَةٌ (٤) في سبيلِ الله ولا يَطْؤُونَ مَوْطِئاً يَغِيظُ الكُفَّارَ ولا يَنالونَ من عدوِّ نِيلاً إلا كُتِبَ لَهُم بِهِ عَمَلٌ صالِحٌ ، إنَّ اللهَ لا يُضِيعُ أجرَ الحَسَنِينَ ولا يَنفِقونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً ولا كَبِيرَةً ولا يَقْطَعونَ وادياً إلا كُتِبَ لَهُم لِيَجْزِيَهُمُ اللهُ احسناً ما كانوا يَعْمَلونَ) .

(١) ولي قتيبة خراسان بعد يزيد بن المهلب ، وغزا بلاد ما وراء النهر ، وافتتح بخارى وسمرقند

والخوارزم ووصل في فتوحه الى كاشغر من بلاد الصين ، وقتل سنة ٩٦ هـ .

(٢) ناحية كبيرة شرقي خراسان على نهر جيحون .

(٣) وقماً : قهراً ودلاً . وقمه : قهره واذله .

(٤) مخمصة : مجاعة .



ثم أخبر عمن قتل في سبيله أنه حيٌّ مرزوق فقال : (ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيلِ الله أمواتاً بل أحياءٌ عند ربهم يرزقون) فتنجزوا موعدَ ربكم ووطنوا أنفسكم على أقصى أثر وأمضى ألم وإياكم والهويني) .

فاستشعروا ذلكم - وفقكم الله - من أنفسكم في حالة الرِّخاء والشدة والحرمان و المأساة والإحسان ، والسَّراء والضراء فنعمت الشَّيْمَةُ هذه لمن وَسَمَ بها ، من أهل هذه الصناعة الشريفة ، فإذا ولي الرجل منكم ، أو صيِّر إليه من أمر خلق الله وعباله أمرٌ ، فليراقب الله عز وجل وليؤثر طاعته وليكن على الضعيف وفاقاً ، وللمظلوم مُنصفاً فإن الخلق عيالُ الله وأحبهم إليه أرفقهم بعباله ثم ليكن بالعدل حاكماً ، وللأشراف مُكرماً وللغني مؤفراً ، وللبلاد عامراً ، وللرعية متألماً ، وعن إيدائهم متخلفاً وليكن في ملبسه متواضعاً حليماً ، وفي سجلات خواجه واستقضاء حقوقه رقيقاً ، وإذا صحب أحدكم فليختبر خلائقه ، فإذا عرف حُسنها وقبيحها ، أعانه على ما يوافقُه من الحسن ، واحتال لصرْفه عما يهواه من القبيح ، بألطف حيلة وأجمل وسيلة وقد علمتهم أن سائس البهيمة إذا كان بصيراً بسياستها ، التمس معرفة أخلاقها ، فإن كانت رَمُوحاً^(١) لم

(١) رمحه الفرس كمنع : رفسه .

يَهْجِهَا إِذَا رَكَبَهَا وَإِنْ كَانَتْ شَبُوباً^(١) اتَّقَاهَا مِنْ قَبْلِ يَدَيْهَا ، وَ إِنْ خَافَ مِنْهَا شَرُوداً تَوَقَّاهَا مِنْ نَاحِيَةِ رَأْسِهَا وَإِنْ كَانَتْ حَرُونًا قَمَعَ بَرَفِقٍ هَوَاهَا فِي طَرِيقِهَا ، فَإِنْ اسْتَمَرَّت عَطَفَهَا يَسِيرًا فَيَسْلَسُ لَهُ قِيَادَهَا ، وَفِي هَذَا الْوَصْفِ مِنَ السِّيَاسَةِ دَلَالٌ لِمَنْ سَاسَ وَعَامَلَهُمْ وَجَرَّبَهُمْ وَدَاخَلَهُمْ .

وَ الْكَاتِبُ بِفَضْلِ أَدَبِهِ ، وَ شَرِيفِ صَنَعَتِهِ ، وَ لَطِيفِ حِيلَتِهِ مَعَامَلَتَهُ لِمَنْ يُحَاوِرُهُ مِنَ النَّاسِ وَ يَنَظُرُهُ وَ يَفْهَمُ عَنْهُ أَوْ يَخَافُ سَطْوَتَهُ ، وَ أَوْلَى بِالرَّفِقِ بِصَاحِبِهِ ، وَ مَدَارَاتِهِ وَ تَقْوِيمِ أَوْدِهِ مِنْ سَائِسِ الْبَهِيمَةِ الَّتِي لَا تُخِيرُ^(٢) جَوَاباً وَ لَا تَعْرِفُ صَوَاباً ، وَ لَا تَفْهَمُ خَطَاباً ، إِلَّا بِقَدْرِ مَا يُصَيِّرُهَا إِلَيْهِ صَاحِبُهَا .

أسئلة المناقشة :

- أي العوامل أسهمت في تفوق عبد الحميد الكاتب في الكتابة و التمكن منها؟

(١) شب الفرس كضرب ونصر : رفع يديه .

(٢) لا تخير : لا ترد .

٣	مقدمة
٥	الأدب معناه ، وأنواعه
٦	أنواع الأدب
٧	العصور الأدبية
١١	أقسام الأدب
١١	الشعر ، نشأته - ومصادره
١٣	الخصائص الفنية لشعر ما قبل الإسلام
١٤	المعلقات
١٦	نماذج من شعر عصر ما قبل الإسلام
١٦	امرؤ القيس للحفظ (٨) أبيات
٢٣	طرفه بن العبد للحفظ (٨) أبيات
٢٧	زهير بن أبي سلمى للحفظ (٨) أبيات
٣٢	النايعة الذبياني للحفظ (٨) أبيات
٣٧	الأعشى (للدرس)
٤١	عمرو بن كلثوم (للدرس)
٤٦	عنترة بن شداد للحفظ (٨) أبيات
٥٠	السموأل بن عادياء للحفظ (٨) أبيات
٥٢	النثر
٥٣	الأمثال للحفظ (٥) أمثال
٥٥	الخطابة للحفظ (٣) أسطر
٥٧	الوصايا للحفظ (٥) أسطر
٥٩	الأخبار والحكايات
٦٠	الحياة الأدبية في عصر صدر الإسلام
٦٠	مقدمة موجزة عن الأدب الإسلامي
٦٠	الشعر
٦٦	حسان بن ثابت للحفظ (٨) أبيات
٧٢	كعب بن زهير للحفظ (٨) أبيات

٧٨ أبو ذؤيب الهذلي (للدرس)
٨٠ الخنساء للحفظ (٨) أبيات
٨٣ مالك بن الريب (للدرس)
٨٧ النشر
٨٨ الخطابة
٩٢ من خطبة حجة الوداع للحفظ (٧) أسطر
٩٦ وصية أبي بكر (رضي الله عنه) (للدرس)
٩٨ الكتابة
١٠٠ نصوص من القرآن الكريم
١٠٤ نصوص من الحديث النبوي الشريف (للحفظ)
	رسالة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) إلى أبي موسى الأشعري للحفظ (٥)
١٠٦ أسطر
	من رسالة الإمام علي (عليه السلام) إلى مالك بن الأشتر للحفظ (٥) أسطر
١١١
١١٤ أثر القرآن الكريم في الأدب العربي
١١٧ الأدب في العصر الأموي
١١٩ أغراض الشعر في العصر الأموي
١٢٠ شعر النقااض
١٢١ الشعر السياسي
١٢٢ الغزل
١٢٣ الفرزدق للحفظ (٨) أبيات
١٢٨ جميل بثينة (للدرس)
١٣٢ عمر بن أبي ربيعة (للدرس)
١٣٧ ليلي الأخيلية للحفظ (٨) أبيات
١٣٩ النشر في العصر الأموي
١٣٩ الكتابة
١٤٠ الخطابة
١٤٢ عبد الحميد الكاتب
١٤٤ رسالة عبد الحميد إلى الكُتاب (للدرس)
١٤٨ خطبة قتيبة بن مسلم الباهلي (للدرس)
١٥١ المحتويات